سلسلة القصص التربوي «١»

بقلم

بدر محمد ملك

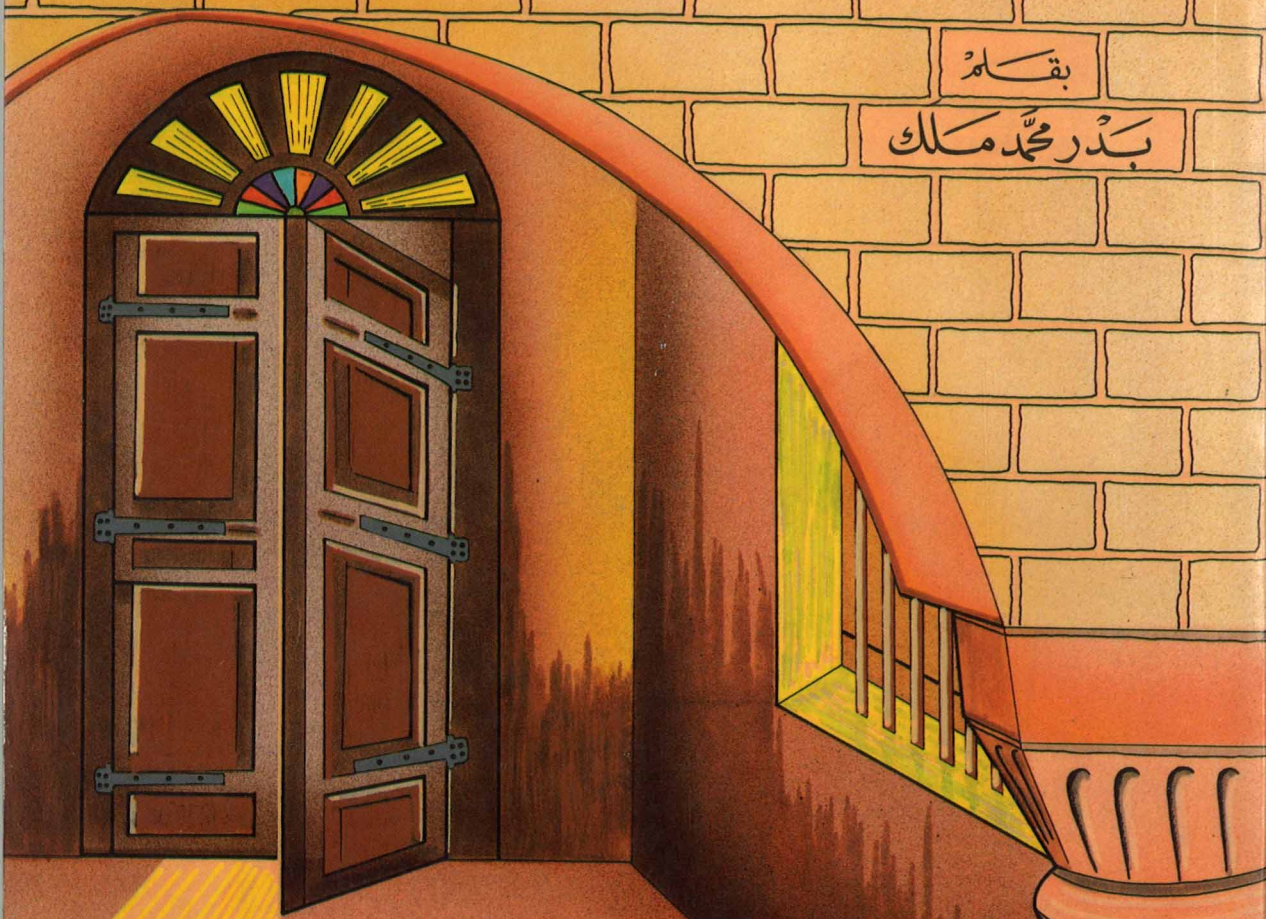

قصص رواها الرسول صلى الله عليه وسلم

تقديم

د. صديق عبد العظيم أبو الحسن

مكتبة دار التراث

الكويت

اليمامة

دمشق - بيروت

قصص رواها

الرسول ﷺ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

مكتبة دار التراث
الكويت ـ ص.ب : ٣٤٢١٦ العديلية
الرمز البريدي 73253
هاتف : ٤٧٣٣٨٥٩

سلسلة القصص التربوي "١"

قصص رواها الرسول صلى الله عليه وسلم

بقلم

بدر محمد ملك

تقديم الدكتور صديق عبد العظيم أبو الحسن

مكتبة دار التراث

الكويت : هاتف ٤٧٣٣٨٥٩ ص.ب ٣٤٢١٦

الرمز البريدي 73253

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ سورة يوسف : الآية «١١١»

﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ سورة الأعراف : الآية «١٧٦»

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ » سورة البقرة : الآية : «١٥١»

للإتصال بالمؤلف

أ.د. بـــدر محمـــد ملك

@4bader111

bmalek227@gmail.com

www.badermalek.com

إهداء

إلى التي رحمها الله ...
ووالدي حفظهما الله ورعاهما ...
عسى أن أكون حسنة من حسناتهما ...
أو بركة من بركات دعائهما ...
لأنال المغفرة وأفوز بالجنة
وذلك هو الفوز العظيم ،

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾

سورة ابراهيم : الآية «٤١» .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية (طبعة الكترونية)

بقلم الأستاذ الدكتور بدر محمد ملك

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه، محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله الأطهار، وصحبه الأخيار، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فلقد كنت في بداية شبابي أحلم بخدمة السنة النبوية عبر مجال التصنيف والتأليف وفي عام ١٤١٠هـ -١٩٩٠ م يسر لي الله سبحانه أن أنشر (الجزء الأول) من كتابي قصص رواها الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي العام (١٩٩٢ م) طبعتُ الجزء الثاني. وبحمد الله وجد الكتاب استقبالا طيبا في الأوساط الثقافية حيث كتب محرر الصفحة الثقافية في مجلة المجتمع ما يلي "وفكرة الكتاب بحد ذاتها ابداع جميل واختيار رائع وإنجاز مشكور فلطالما حلمت وأنا أتصفح كتب الحديث التي تهتم غالبا بالتبويب الفقهي أو الترتيب بحسب حروف الهجاء طالما حلمت بكتاب يجمع القصص التي رواها النبي صلى الله عليه وسلم لما لها من أثر نفسي وفائدة مرجوة وجاذبية خاصة تشد إليها قارئها وسامعها على السواء. بالإضافة إلى ذلك فقد عمد مؤلف الكتاب "بدر محمد ملك" إلى اختيار... والكتاب جدير بالقراءة لأسلوبه الممتع وتصنيفه الجميل وفائدته المتحققة، جزى الله مؤلفه خير الجزاء وجعله في ميزانه يوم القيامة" (*مجلة المجتمع*: عدد ١٠٠٢، باختصار، ص ٤٠-٤١).

ولقد مضيت في هذا المسار الكريم وأكرمني الله سبحانه فكتبت رسالتي في الدكتوراه بعنوان (*Interpreting stories ascribed to Prophet Muhammad for teaching morality*) إذ كتبتها في جامعة بتسبرغ الأمريكية. وقامت جريدة الوطن الكويتية بالتعريف بالدراسة (جريدة الوطن: الجمعة ٢٢ صفر ١٤١٨ هـ - ٢٧ يونيو

١٩٩٧ م). ولقد راسلتني ايجيني بوتر (Eugenie Potter) الدكتورة الأمريكية المشرفة على رسالتي في مرحلة الدكتوراه - وهي متخصصة في أصول التربية الدينية- وكتبت لي أنها تجد في القصة النبوية راحة نفسية. وأشارت أنها من حين لآخر تقرأ مقتطفات من بحثي وتقول إنها وجدت القصة النبوية من مصادر الطمأنينة في حياتها لأن القصة النبوية تعكس الجانب الإنساني الرحيم في الإسلام.

I occasionally still dip into your dissertation to remind myself of certain aspects of hadith literature. In fact, your work has been a source of comfort to me.... I look to the humane and compassionate aspects of Islam.

وفي هذا الطريق القويم، والصراط المستقيم وللمرة الثالثة تشرفت بالكتابة عن القصة النبوية حيث شاركتُ زوجتي – رفيقة دربي – أ.د. لطيفة حسين الكندري وبالتعاون مع أ.د. محسن الصالحي في تأليف بحث أكاديمي بعنوان التربية الاجتماعية في القصة النبوية. وتم نشر البحث في *مجلة التربية*: جامعة الأزهر ، العدد ١٤٤ ، الجزء الثالث، (١٤٣١هـ-٢٠١٠م). جميع ما سبق منشور على شبكة الانترنت (http://www.badermalek.com).

اللهم تقبل منا صالح الأعمال، وأنفع بهذا الكتاب الأجيال تلو الأجيال، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الأحد ١٤٣٥/١٢/٤ هـ

٢٨ سبتمبر ٢٠١٤ م

تعريف بمجلة المجتمع الكويتية

بكتاب قصص رواها الرسول صلى الله عليه وسلم

تأليف: بدر محمد ملك

ضمن سلسلة القصص التربوي صدر عن مكتبة الصحوة كتاب جديد بعنوان "قصص رواها الرسول صلى الله عليه وسلم" يحتوي مجموعة من الأحاديث الشريفة التي جاءت على شكل القصة وفكرة الكتاب بحد ذاتها ابداع جميل واختيار رائع وإنجاز مشكور فلطالما حلمت وأنا أتصفح كتب الحديث التي تهتم غالبا بالتبويب الفقهي أو الترتيب بحسب حروف الهجاء طالما حلمت بكتاب يجمع القصص التي رواها النبي صلى الله عليه وسلم لما لها من أثر نفسي وفائدة مرجوة وجاذبية خاصة تشد إليها قارئها وسامعها على السواء. بالإضافة إلى ذلك فقد عمد مؤلف الكتاب "بدر محمد ملك" إلى اختيار عنوان مناسب لكل قصة كما قام بإعداد تمهيد لمعظم القصص ليكون بمثابة مدخل أو تعريف بالقصة، وذكر ترجمة موجزة للصحابي الذي روى القصة عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى الهامش استغله الكاتب في شرح الكلمات والألفاظ الغريبة، وجعل متن الحديث (القصة) مقسما إلى فقرات حسب سير الأحداث لتكون أدعى للتشويق وشد الانتباه. واستكمالا للفائدة فقد جاء بالزيادات التي حوتها بعض الأحاديث والتي لا تخلو من زيادة معنى أو توضيح موقف. وفي نهاية كل قصة جاء بجملة من القواعد المستنبطة فيها ثروة تراثية وعلمية من وحي ذلك القصص الخالد الذي عرضه النبي صلى الله عليه وسلم بأسلوبه الساحر الأخاذ، وقد حرص المؤلف الفاضل على ذكر المراجع وتوثيق الروايات والتأكد من الأخبار في هوامش الكتاب المليئة بالفائدة العلمية واللغوية. والكتاب جدير بالقراءة لأسلوبه الممتع وتصنيفه الجميل وفائدته المتحققة، جزى الله مؤلفه خير الجزاء وجعله في ميزانه يوم القيامة.

مجلة المجتمع الكويتية (العدد ١٠٠١، ٤٠-٤١) باب المجتمع الثقافي

تقديم الكتاب

للدكتور صديق محمد العظيم أبو الحسن

الحمدلله رب العالمين ، والصلاة والسلام على إمام الدعاة والهداة والمتقين ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، ومن تبعهم بإحسان واقتفى أثرهم ، ونهج نهجهم إلى يوم الدين .

وبعـــد ،،

فإنه لم تحظ مصادر لدين من الأديان من العناية والحفظ ، ومن الدراسة والتوثيق بمثل ما توفر للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

والغرض الرئيسي من إنزال الكتب وإرسال الأنبياء والرسل هو هداية البشر إلى الحق والخير ، وتربيتهم على المثل العالية والأخلاق الفاضلة الكريمة وهذا الهدف واضح فيما وصف الله تعالى به القرآن الكريم في مثل هذه الآيات : ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾[1] ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[2] .

ولهذا الهدف بعث محمد ﷺ ، وقد خاطبه الله مشيرا إلى هذا الهدف في مثل هذه الآية : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3] .

---

(١) سورة البقرة : الآية «٢» .

(٢) سورة الإسراء : الآية «٩» .

(٣) سورة الشورى : الآية «٥٢» .

ووسائل وأساليب الهداية في القرآن كثيرة ، منها الأوامر المباشرة ، والتوجيهات والترغيب والترهيب ، ومنها ضرب الأمثال ، ومنها أيضا ذكر القصص والأخبار ، فلقد اهتم القرآن الكريم بذكر القصص وبيان أهميته في الهداية والتربية والموعظة ولفت نظر الرسول ﷺ والمسلمين إلى ذلك فقال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾(٤) .

وقال تعالى في بيان الغرض من ذكر القرآن لقصص وأخبار السابقين : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٥)

ولقد وجه الله النبي محمدا ﷺ إلى الاستعانة بالقصص كوسيلة من وسائل الدعوة إلى الايمان بالله ، ووسيلة من وسائل الهداية والتربية ، ففيها أخذ العبرة والتعلم من أسباب نجاح وفشل السابقين فقال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٦) .

ولقد أقبل الكثيرون على مر العصور من الوعاظ والدعاة ، ومن الفقهاء ، ومن الأدباء ومن المعلمين والمربين على القصص في الحديث النبوي كما توفر أمثالهم من قبل على قصص القرآن الكريم يتناولونه بالجمع والدراسة والتحليل والعرض كل يقبل من مائدة الله في قصص القرآن ، ومائدة رسول الله ﷺ في قصص الحديث ما يثري العلم أو الفن الذي تفرغ له .

وكلما تقدمت مناهج البحث في العلوم والفنون المختلفة كلما وجدنا من تناولوا القرآن والسنة بما فتح الله عليهم من مناهج ووسائل جديدة في البحث والدراسة والقصص في الحديث النبوي ثروة ضخمة تحوي الكثير من الكنوز المنوعة ، ففيها ثروة لغوية ، وثروة في الصور البلاغية والجمالية ، وثروة في الأمثال والحكم ، وثروة في الأحكام الشرعية ، وثروة في المواعظ والعبر ، وثروة في الدروس التربوية ..

---

(٤) سورة يوسف : «الآية «٣» .

(٥) سورة يوسف : الآية «١١١» .

(٦) سورة الأعراف : الآية «١٧٥» ، «١٧٦» .

ثم هي وعاء هام من أوعية أحداث التاريخ وتجارب الأمم ، ومشيرة إلى بعض حكمهم وعلومهم . وغير ذلك من الكنوز التي يكشفها ويتذوقها من يقبل عليها ، فتتبدى له بقدر ما يوفر لها من جهد وعناية .

وأنواع القصص النبوي متعددة :

أ ـــ فمنه : القصص الواقعي الذي كانت أحداثه تجارب ذاتية وقعت للرسول ﷺ مثل قصة الاسراء والمعراج .

ب ـــ ومنه القصة التمثيلية : وهي التي هدف منها الرسول ﷺ إلى تبسيط وتوضيح قضايا كلية ، وحقائق عقلية مجردة فيقرب الرسول ﷺ للصحابة وللمسلمين من بعدهم هذه المعاني من خلال أحداث القصة ، وذلك مثل قصة «فاقد الراحلة» يقرب بها معنى : فرح الله بتوبة عبده المذنب من خلال قصة المسافر الذي فقد داتبه وعليها طعامه وشرابه وأمتعته .. إلخ .

جـ ـــ والقصص الغيبي : الذي يتضمن أحداثا تاريخية ماضية ، وأحداثا تحدث في آخر الزمان ، وأحداث البعث والحشر والحساب والجنة والنار .. إلخ .

وموضوعات القصص النبوي كثيرة كثيرة :

فمنها ما تضمن أمورا متصلة بالعقيدة ، ومنها ما تضمن ذكر أحداث حياة رسول الله ﷺ قبل البعثة وبعدها ، ومنها ماتضمن القيم الاسلامية ، ومنها ما يتضمن كشف خصائص الانسان النفسية ، وتصوير فطرته وما فيه من خير وشر ، وقوة وضعف .. إلخ .

ومنها ما يصورالموت وما يلابسه من ظروف ومواقف وأحداث غيبية لا يستطيع الأحياء المحيطون بالميت إدراكها ولا تصورها .. ومنها ما يتضمن إرهاصات الساعة ، والبعث والجزاء .. إلخ .

---

(٧) سنن الدارمي ٢ : ٢١٣ ـــ ٢١٤ .

وكذلك ــ أغراض القصص النبوي كثيرة ومنوعة :

فلقد توفر في الأحاديث النبوية القصصية أغراضا دينية كثيرة ، صحيح أنها متداخلة متشابكة آخذ بعضها بعضد بعض كالحلقة لا يدري أين طرفاها ، ولكن الغرض الأسمى منها جميعا لُبابها وغلافها ، سداها ولحمتها ، هي الدعوة الاسلامية .

وضمن هذه الحلقة ، ومن سداها ولحمتها ، أغراض أساسية تخدم الغرض الأسمى بل عماد هذه الأغراض هي التربية .

ومن الوسائل التي طرقتها القصة في الحديث النبوي لتحقيق هدف التربية الذي هو عماد الدعوة الاسلامية ــ الوسائل الآتية :

١ ــ التعليم وطرقه المنوعة .

٢ ــ الترغيب والترهيب .

٣ ــ الموعظة الحسنة .

٤ ــ جبر ضعف المذنب وإفساح الأمل أمامه للصلاح بالتوبة .

٥ ــ تقوية عزائم المؤمنين بالتسرية عنهم .. إلخ .

وإنه لمن دواعي السرور والاستبشار أن يخوض الأخ الكريم المعلم المربي الأستاذ بدر محمد ملك هذا الميدان الرحب ، ميدان القصص في الحديث النبوي ، ويوظف هذا القصص في خدمة الدعوة الاسلامية في مجال من أخص مجالاتها وهو مجال التربية والتعليم .

وإذا كانت المكتبة الاسلامية قد زخرت بالعديد من الدراسات في ميدان القصص القرآني وأن ميدان العناية بالقصص النبوي لم يعمر بعد بالباحثين كما يقول الكاتب الأستاذ بدر ملك فإننا نستبشر بهذه المجموعة التي بين أيدينا اليوم ونرنوا إلى مجموعات تليها إن شاء الله أكثر ثباتا على الطريق ، وأعمق غورا في آبار وأنهار الهدي النبوي المتدفق العذب .

والقصص النبوي بما يحوي من كنوز وهداية موزع مبثوث في أعماق كتب السنة ، لا يستطيع الوصول إليه والانتفاع منه إلا الغواصون المهرة من مرتادي هذه المصنفات العليمين بها وبتبويبها . فأن يلهم الله شابا مؤمنا داعية مربيا إلى الغوص عليها والصبر والجلد في تتبعها وجمعها ، فهذا عمل عظيم ، وفي تقديمه لهذه المجموعة والجهد الذي بذله ومنهجه الذي سار عليه ، والغاية التي هدف إليها تيسير للانتفاع بها .

وحسبه توفيقاً من الله أنه قصد إلى الهدف مباشرة ، الهدف الذي هدف إليه القصص القرآني والقصص في الحديث النبوي ، وهو خدمة الدعوة الاسلامية وتجليتها وتدعيمها واتخذ سبيله إلى ذلك أهم أغراضها الأساسية وهي التربية ولا غرابة في ذلك ، فهناك توافق كبير بين واقعه وبين هدفه ، فالقصة تستهوي النفوس ، خاصة نفوس الشباب ، وهي وسيلة تربوية تعليمية ، وهو شاب ، وداعية ومعلم مربي ولقد هدف إلى أن يسد نقصاً في المكتبة الاسلامية عامة ، والمكتبة التربوية خاصة ، وأن يضع بين يدي المعلمين والمربين ثروة من تراث النبوة تنير لهم طريق رسالتهم وتيسر لهم مادة خصبة قدوة تعينهم في مهمتهم .

ومن جهة أخرى يزاحم بهذا القصص السامي والقدوة الحسنة هذا الطوفان من القصص المكتوب لمجرد التسلية ، والقصص الأسوأ من هذا الذي يثير الغرائز وينشر الفساد ، ويحط الانسانية إلى درك الشهوانية الحيوانية الخسيسة .

فالهدف سامٍ نبيل ، والطريق الموصل إليه مستقيم منير يهدي الله ورسوله الأمين .

والمنهج الذي سار عليه في عرض القصة ، وفي عرض جوانبها ، والدروس المستفادة منها ، منهج المدرس والمربي . وقد تتبع مفردات القصص فوضحها وأقوال العلماء فيها فأبرز أهم ما يتصل بغرضه ، وتتبع ما يتضمن أحكاماً شرعية ، فجال في آراء الفقهاء واختار منها ما عقب به عليها . ثم كانت له تعقيبات ظريفة ، وفوائد لطيفة .

وختاماً أسأل الله أن يجزي الكاتب خير الجزاء على حسن النية والقصد ، وعلى ما بذل من جهد ، وأن يكتب له التوفيق والسداد ، وينير له الطريق ، ويقوم له المنهج ، وأن يلهمه الصبر والجلد حتى يتم الطريق الذي بدأ ، ويحق الغاية منه والفائدة المرجوة له والله ولي التوفيق .

د. صديق عبدالعظيم أبوالحسن
كلية الشريعة ـــ جامعة الكويت
مساء الاثنين ١٤ من ذي الحجة ١٤٠٩هـ
٧ من يوليو (تموز) ١٩٨٩م

المقدمة

إن الحمدلله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان .

وبعـــد ،،

على ضوء اطلاعاتي ودراساتي المتواضعة في مجال التربية وفنونها ومن واقع تجاربي العملية في هذا الباب ، رأيت أن القصص من أمثل وأروع ألوان التربية والتزكية ، ومن أرفع أساليب التأديب والتهذيب .. ولا ريب أن القصص القرآني على قمة تلك الوسيلة .

ولئن كانت المكتبة الاسلامية قد زخرت بالعديد من الدراسات في ميدان القصص القرآني إلا أن القصص التي قد حكاها الرسول ﷺ وصور مشاهدها بأسلوبه المعجز في البيان والتبيين لم تلق وافر العناية من التصنيف والتأليف رغم رحابة وسعة آفاقها ، ومازالت تلك الروائع والقصص البدائع في بطون أمهات كتب الحديث متفرقة متناثرة ، ومن الصعوبة بمكان الرجوع إليها أو العثور عليها فضلا عن الالمام بفوائدها أو الاحاطة بدقائقها فحُرمنا من خير كثير وعلم غزير .

ومما يدعونا أيضاً للتوجه إلى القصص النبوي ما آلت إليه الأوضاع التربوية المتردية ، فليس بخاف على أصحاب العقول النيرة والقلوب المتفتحة مدى شيوع الحكايات الهابطة والروايات الساقطة في المجتمع عامة وجيل الشباب خاصة ، وكلنا يعاني أو يعاين ويشاهد آثارها المدمرة .

إن سيول تلك المباذل تجتاح الأوساط الثقافية حتى أصبح لأصحاب ذلك الفكر العفن الآسن منابر إعلامية رهيبة وإمكانات مادية عظيمة تريد أن تقتلع جذور القيم الراسخة الثابتة المتأصلة في المجتمعات المسلمة .

ولكن الأمل في الله كبير فنحن على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، ففي أيدينا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وبهما يُدك عرش الباطل ويتزلزل ، وعليهما تنمو شجرة

الفضائل وتمضي المسيرة لتلتحق بالركب ركب العفة والفطرة والطهارة .

وكان الأمل في مثل هذا العمل في نشر القصص النبوي وإبرازه في صفوف الناس وساحة الفكر ، فهي أفضل وسيلة ـــ بعد القرآن الكريم ـــ لايقاف الطوفان المتفسخ المتحلل من المثل والقيم في الأدب الحديث . وصدق الله العظيم ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٨] .

لذلك كله ، وفي سبيل خدمة الفكر التربوي بالسنة النبوية عكفت على قراءة كتب الحديث متتبعاً تلك الدرر الغوالي ، وتلقفت كل قصة منها وأخذت أتتبع غرائبها ومفرداتها اللغوية شرحاً وتعليقاً بغرض التبسيط والتقريب .. ثم اخترت لكل قصة عنواناً مناسباً ، وبدا لي أن أقطع وأقسم متن الحديث إلى أجزاء حسب الحوار وسير الأحداث للجذب والتشويق ومتابعة القصة حدثاً بحدث وحركة بحركة ، وكان لي ذلك .

وفي نهاية القصة جملة من الفوائد التربوية المستوحاة ، اجتهدت في اقتناصها إما استلهاماً أو استلالا عبر تتبع النصوص في مضانها وتقليب المراجع المعتمدة الأصلية منها والمعاصرة في علم الحديث واللغة والتاريخ والعقيدة والفقه والتفسير ..

ونقلت طرفاً من أقوال الأئمة الأعلام والسلف الكرام من مواعظ بليغة وعِبر قيمة بعد كل قصة ، وهذه الفوائد والشواهد تعتبر بالفعل لمسات مشرقة ولمحات رائعة يغترف من معينها من يطلب جمال العلم ويرغب بكمال الفهم .

والتنبيهات الواردة في أغلب القصص تتمم الفائدة وقد تعصم القارىء من سوء فهم أو تصور قاصر قد يتبادر للذهن من أحداث القصة أو مراميها وعليه لزم التنبيه والتنويه إن وجد بعد الفراغ من ذكر الفوائد .

والقارىء في سياحته وتجواله في أرجاء هذا الكتاب لا شك في أنه سيستظل تحت بعض اللطائف والرقائق ففي كل لطيفة استنباط دقيق لرائد من رواد فن الحديث أو أحد عمالقة الفقهاء والعلماء في العلوم الأخرى . والحق أنها درر متفردة متفرقة في أعماق الكتب التراثية .. أحببت أن لا يحرم منها القارىء الكريم فرصعت بها هذا العمل اتماماً للفائدة .

كما درجت في كثير من الأحيان على إيراد خاتمة في نهاية القصة هي أشبه بتلخيص فكرة وموضوع

---

(٨) سورة الرعد : الآية «١٧» .

القصة والثمرة التي توحي إليها .

وعلى ذلك النسق كان هذا العِقد الفريد ، ويكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .

والله أسأل أن أكون قد وفقت لما هدفت إليه ، وأن يكون هذا العمل قد حقق غايته وأن يسدد الخطا حتى تتم الحلقات التالية من هذه السلسلة ، والله ولي التوفيق .

أبو ناصر

بدر محمد ملك

في رحاب القصص النبوي

للقصة تأثير عجيب إذ تأنس لها القلوب وتسحر بها النفوس .. حب القصص في أعماق الطفل الصغير والرجل الكبير .. يتذوق جمالها السامع المترقب ويطرب بها الراوي المبدع .. يتوق لسماعها العالم الذواق ويشغف بحبها المتعلم المشتاق .

إنها تتغلغل في الوجدان والشعور فتشدها وتسعدها حتى تأسرها وتملكها ، فتعيش في الذاكرة بكل أحداثها وتفاصيلها بكل أشخاصها وأدوارها .. تستروح الأفراح وتستقبح الأتراح .. هكذا خُلق الانسان فتبارك الله أحسن الخالقين الذي سوى النفوس فأحسنها .

وإنك حينما تتلو آيات الذكر الحكيم لاشك ستنعم بقصص القرآن الكريم وهي قصص واقعية لأمم ومجتمعات قد مضت وانتهت أو أنها مواقف وحوادث مستقبلية قد أزفت واقتربت .. وكذلك في السنة النبوية حكايات قد حكاها الرسول ﷺ لأمته تنضح حلماً وعلماً وحكمة ، حرى بكل مسلم حريص على الانتفاع بهدي رسوله أن يقرأها ويدرسها ويلتقط دررها فهي قصص هادفة ومواقف مربية تنمي الانسان فكرياً وأدبياً وروحياً وتسمو به . تلك القصص لا يستغني عنها العالم فضلا عن المتعلم وتستوي فيه حاجة الآباء ورغبة الأبناء .. يجب أن تكون في متناول اليد لينهل منها كل فرد ..

فمن فنون القصة ، انتقاء الكلمة المعبرة واصطفاء الفقرة المشوقة وبناء الفكرة الموحية وصنع الرواية المؤثرة التي تطبع الانسان على الخلال الحميدة وتحفزه للالتزام بالخصال الحسنة الكريمة .

والقصص النبوي يجمع ذلك كله بل ويضيف إليه .. ذلك أن كلام النبي ﷺ له خصائصه ومميزاته فهو الكلام «الذي قل عدد حروفه ، وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصنعة ، ونزه عن التكلف ، وكان كما وجه الله تبارك وتعالى رسوله محمداً ﷺ أن يقول ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[٩] فكيف وقد عاب التشديق ، وجانب أصحاب التقعير ، واستعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحشي ورغب عن الهجين السوقي ، فلم ينطق إلا عن

---

(٩) سورة ص : الآية «٨٦» .

ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق ، وهذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشّاه بالقبول .

وجمع له بين المهابة والحلاوة ، وبين حسن الافهام وقلة الكلام ، ومع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولازلّت له قدم ، ولا بارت له حجة ، ولم يقم له خصم ، ولا أفحمه خطيب ، ولا يحتج إلا بالصدق .. ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعمّ نفعاً ، ولا أصدق لفظاً ، ولا أعدل وزناً ، ولا أجمل مذهباً ، ولا أكرم مطلباً ، ولا أحسن موقعاً ، ولا أسهل مخرجاً ، ولا أفصح عن معناه ، ولا أبين في فحواه – بعد القرآن الكريم — من كلامه ﷺ[10] كيف لا وهو معلم البشرية وقد أوتي جوامع الكلم ؟ فهو صلى الله عليه وسلم خير معلم وصدق شاعر الرسول الكريم حسان بن ثابت الأنصاري إذ قال :

إمـــــامٌ لهم يهديهم الحق جاهـــــــدا معلـــم صدق ، إن يطيعـــوه يسعـــــدوا[11]

وصدق شوقي حين قال :

وفجـــرت ينبـــــوع البيـــــان محمـــــدا فسقـــى الحديـــــث ونـــاول التنزيـــــلا[12]

فمـــــا عرف البلاغـــــــة ذو بيـــــــان إذا لم يتخـــــــذك لـــــــه كتابـــــــا[13]

وحينما تقلب صفحات هذا الكتاب ستقف بنفسك على دقة الايجاز وبراعة الاعجاز النبوي وعظمته في كل قصة بل كل عبارة وكلمة يرويها أو يلمح إليها ، وقبل ذلك كله فقارىء القصص النبوي يحيطه جو روحاني ويغشاه فيض إيماني يسري بدمه ويسكب في نفسه الطمأنينة والراحة .. وذلك حينما يستشعر المرء أن الرسول ﷺ النبي الكريم الرؤوف الرحيم ، هو الذي يروي له أحسن القصص ويختار له أجمل الأحداث وينتقل به من حديقة إلى حديقة ويأخذ بيده ليريه القصص الخالد ، الشاهد على صدق النبوة وتمام الرسالة .

إن قارىء القصص النبوي يعيش في كل اللحظات مع الرسول ﷺ سواء في عالم الأمس أو اليوم

---

(١٠) الجاحظ — البيان والتبيين — جـ ٢ ص ٢٢١ بتصرف . لمزيد من التوسع أنظر مصطفى صادق الرافعي — إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٨٢ .

(١١) ديوان حسان بن ثابت ص ٥٥ .

(١٢) (١٣) الشوقيات جـ ١ ص ١٤١ ، ص ٦٦ .

أو الغد ويحلق معه في سماء الحكمة ويجوب دنيا البلاغة وينفعل بالأحداث ويتأثر بالشمائل والخلال .

يا أفصح الناطقين الضاد قاطبة ... حديثك الشهد عند الذائق الفهم

حليت من عطل[14] جيد البيان به ... في كل منتثر في حسن منتظم[15]

بكل قول كريم أنت قائله ... تحيي القلوب ، وتحيي ميت الهمم

(١٤) عطل : خال من الحلى .

(١٥) الشوقيات ـ جـ ١ ص ١٥٤ .

القصة الأولى

« مَنْ خافَ نجا »

عَنْ حُذَيفَةَ بْنِ اليَمانِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

«إنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ المَوْتُ ،

فَلَمَّا أيس[1] مِنَ الحياةِ أوْصَى أهْلَهُ :

إذَا أنا مُتُّ فاجْمَعُوا لي حَطَباً كثيراً جَزْلًا[2] ،

ثمَّ أوْقِدُوا فِيهِ ناراً ،

حَتَّى إذَا أكَلَتْ لَحْمِي ،

وَخَلَصَتْ إلى عَظْمِي[3]

فَامتُحِشْتُ[4]

فَخُذُوهَا فَاطحَنُوهَا ،

---

(١) أيس = انقطع رجاؤه .

(٢) جزلا = خشباً قوياً غليظاً .

(٣) وخلصت إلى عظمي = وصل الحرق إلى العظام .

(٤) فامتحشت = فاحترقت وتفحمت .

ثُمَّ انْظُرُوا يَوْماً راحاً[٥]
فاذرُوها فِي اليَمِّ[٦].
فَفَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ ،
فَجَمَعَهُ اللهُ[٧].
وَقَالَ لَهُ : لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟
قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ[٨].
فَغَفَرَ لَهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيهِ

(٥) انظروا يوماً راحاً = ترقبوا يوماً كثير الريح .
(٦) فاذروها في اليم = فالقوها في البحر .
(٧) فجمعه الله = أعاده الله سبحانه وتعالى كما خلقه أول مرة .
(٨) من خشيتك = خوفاً منك ومن حسابك وعقابك .

ويستفـاد مـن القصـة :ـ

١ ـــ عندما يقترب الفراق وقبل أن تلتف الساق بالساق يشعر الانسان بمدى عجزه وتقصيره ويتدبر بمآله ومصيره ويهجم وهم الخوف وهمّ القلق والترقب على قلبه فيتعبه ويؤرقه ، ويقطع دنو أجله طول أمله ، ولن يدرك أمله إلا بحسن عمله .

٢ ـــ سيقف المؤمن بين يدي ربه وسيقرّ بذنبه وسيندم على سوء فعله ويخجل من سوء عمله وستنكشف كل الفضائح والقبائح التي اجترحها وحري بمن علم عن ذلك اللقاء أن يعِد له خير الأعمال وصالح الأفعال كي ينال أعظم الجزاء .

٣ ـــ من قدرة الله سبحانه أنه يحيي العظام وهي رميم ويجمع أشلاء الأجساد ويجري فيها الدماء من جديد وليس لأحد أن يتخلف أو يفر منه سبحانه وتعالى .

٤ ـــ خشية الله رأس الأمر كله وسنام الدين وعموده ، كما أن الخشية مفتاح لتفريج الكروب وستر العيوب والتجاوز عن الذنوب بين يدي علّام الغيوب سبحانه وتعالى[٩] .

٥ ـــ سعة رحمة الله عز وجل وعظيم كرمه وعفوه .

٦ ـــ إن الله سبحانه وتعالى الخبير السميع البصير يسأل عبده عن سر فعله ـــ وهو العالم بحال عباده ـــ كي يعلم بعد ذلك أن الخشية كانت سبب المغفرة والفوز بالجنة .

التنبيـه الأول :ـ

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : «فهذا رجل شك في قدرة الله ، وفي إعادته إذا ذُرى ، بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفرٌ باتفاق المسلمين ، لكن كان جاهلا لا يعلم ذلك ، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه ، فغفر له بذلك»[١٠] .

---

(٩) والخوف من الله طريق إلى الجنة قال رسول الله ﷺ : «من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة» . رواه الحاكم .

(١٠) مجموع الفتاوي جـ ٣ ص ٢٣١ .

التَنبِيــه الثانـي :ـ

يُحرم على المسلم أن يوصي بوصية تخالف الشرع ، قال رسول الله ﷺ : «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردّ»[11] أي مردود .

ولا يجوز أيضا تنفيذ أي وصية تخالف الأحكام الشرعية ، قال رسول الله ﷺ : «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[12] .

لَطِيفَـــة :ـ

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني [قوله ـــ أي البخاري ـــ باب الخوف من الله عز وجل «هو من المقامات العلية ، وهي من لوازم الايمان ، قال الله تعالى : «وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ»[13] . وقال : «فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ»[14] وقال تعالى : «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»[15] ، وقال رسول الله ﷺ : «أنا أعلمكم بالله وأشدكم خشية» .

وكلما كان العبد أقرب إلى ربه كان أشد خشية من دونه][16] .

خـاتِمَـــة :ـ

إن غرس شعور الخشية من الله سبحانه وتعالى والخوف منه من ركائز الايمان ودعائم التربية الاسلامية الأصيلة ، بل هي من أهم مقاصدها ومراميها ، وجدير بكل عاقل ينشد الأنس بالانسجام النفسي أن يمزج بين الخوف والرجاء .

---

(١١) رواه مسلم .

(١٢) رواه أحمد .

(١٣) سورة آل عمران : آية «١٧٥» .

(١٤) سورة المائدة : الآية «٤٤» .

(١٥) سورة فاطر : الآية «٢٨» .

(١٦) فتح الباري جـ ١١ ص ٣١٣ .

وتأمل هذا الموقف التربوي الفذ لجانب عملي من سيرة النبي ﷺ في تربية الأمة على الخوف والرجاء في كل لحظة ووسيلة .. «عن أنس بن مالك قال : دخل النبي ﷺ على شاب وهو في الموت فقال : كيف تجدك ؟ قال : أرجو الله عز وجل وأخاف ذنوبي . فقال رسول الله ﷺ : «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله عز وجل ما يرجو وأمنه مما يخاف»[١٧] .

قال الله تعالى : « أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ..»[١٨] . وقد قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا .

فإن الخوف والرجاء «خطان متقابلان من خطوط النفس ، يوجدان فيها متجاورين مزدوجي الاتجاه»[١٩] .

تعليـــق :ـ

قال قتادة معقباً ومعلقاً على هذه القصة بحكمة رائعة وكلمة موجزة : «رجل خاف عذاب الله ، فأنجاه الله من مخافته»[٢٠] .

---

(١٧) الإمام أحمد بن حنبل ـ الزهد ـ ص ٣٣ . وأخرجه الترمذي بسند حسن .

(١٨) سورة الزمر : الآية «٩» .

(١٩) محمد قطب ـ منهج التربية الإسلامية ـ ص ١٥٥ .

(٢٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل ـ جـ ٣ ص ٧٠ .

القصة الثانية

« الجرة »

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

«اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَاراً لَهُ »[1] ،

فَوَجَدَ الرجلُ الَّذِي اشترَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً[2] فِيهَا ذَهَبٌ ،

فَقَالَ الذِي اشْتَرَى العَقَارَ : خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي ،

إِنَّما اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ ،

وَلَمْ ابْتَعْ[3] الذَّهَبَ .

وَقَالَ الذِي لَهُ الأَرْضُ : إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيها .

فَتَحاكَمَا إِلى رَجُلٍ ،

فَقَالَ الذِي تَحَاكَمَا إِلَيهِ : أَلَكُمَا وَلَدٌ ؟

قَالَ أَحَدُهُما : لِي غُلَامٌ .

وَقَالَ الآخَرُ : لِي جَارِيَةٌ .

قَالَ : انْكِحُوا الغُلَامَ الجَارِيَةَ ،

---

(١) العقار = الأرض وما يتصل بها والمقصود بالعقار هنا الدار والمنزل .

(٢) الجرة = إناة من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع .

(٣) لم ابتع = لم أشتر .

وانْفِقُوا عَلَى أنْفُسِكُما مِنْهُ ،
وَتَصَدَّقُوا» . متفق عليه .

ويستفاد من القصة:ـــ

١ ـــ اختيار الرجل الحكيم للتحكيم بين الخصوم وليقوم بالاصلاح ، أمر مرغوب وفعل مطلوب .
٢ ـــ مبادرة الخصوم إلى التحكيم له دور عظيم في سرعة حل المشكلة بما يرضي الطرفين وفيه إغلاق لباب الشر .
٣ ـــ على المتحاكمين تطبيق وتنفيذ حكم من تم اختياره حكماً وعليهم الالتزام بحكمه .
٤ ـــ «الموضوع في المبيع لا يدخل في البيع إلا إذا كان جزءاً منه كالمعدن في الأرض ، وكالجزء ، كالبناء والزرع الذي لم يبد صلاحه»[٤] .
٥ ـــ إن الله عز وجل يبارك للبائع الصادق والمشتري الأمين في أموالهم وأولادهم وعاقبة الورع والتقوى في التعامل مع الناس صلاح في الدنيا وفلاح في الآخرة .
٦ ـــ المجتمع السعيد هو الذي يعيش فيه حاكم عادل وبائع ورع ومشتر قنوع وأبناء يتربون على العفة والطهارة والصدق والأمانة وأكل الحلال ولا يعرفون الحقد والحسد أو الجشع والطمع .

لَطِيفَـــة :ـــ

تزويج الغلام من الجارية يكشف عن مدى حرص جميع أفراد المجتمع على أهمية الزواج المبكر .. لتحصين النفوس وتكثير النسل وحفظ حدود الله ومحارمه ، وفي ظل هذه الركائز تحيا الأمة وتسعد ، والمسلم مطالب شرعاً بالسعي لتيسير أسباب الزواج[٥] وتوفير فرص الاعفاف وجمع القلوب وتعمير البيوت وعلى الحاكم والمحكوم تحطيم كل العوائق المادية والمعنوية التي من شأنها أن تأخّر الزواج المبكر .

---

(٤) منصور علي ناصف ـــ التاج الجامع للأصول ـــ جـ ٣ ص ٧٠ .

(٥) والقرآن الكريم .. «نادد أشد التنديد ببقاء الرجال والنساء بدون نكاح في المجتمع ، وأمر من كان فيه من الرجال والنساء بل ومن العبيد والإماء أن يَنكحوا ويُنكحوا ، لأن بقاء أحد بدون نكاح مولد للفحشاء ومنفعل بها معاً . وأقل ما يكون من مثل هؤلاء الأفراد الذين لا أزواج لهم أنهم لا يتمالكون أنفسهم من تحسس الأخبار الفاحشة والتلذذ بنقلها في المجتمع . أبوالأعلى المودودي ـــ تفسير سورة النور ص ٢٦ .

القصة الثالثة

«أصحاب الغار»

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَبْدِاللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ :
سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُول :
«انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ[1] مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ،
حَتَّى أَوَوْ[2] المَبِيتَ إلى غارٍ[3] ،
فَدَخَلُوهُ ،
فانْحَدَرَتْ عَلَيْهِمُ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ ،
فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ .
فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هٰذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا الله بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ ،
قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ،
وَكُنْتُ لَا أَغْبُقُ[4] قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا[5] ،
فَنَأَى[6] بِي فِي طَلَبِ شَيءٍ يَوماً[7] فَلَمْ أُرِحْ[8] عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا ،

(١) رهط = الجماعة من ثلاثة إلى عشرة وهو هنا ثلاثة من بني اسرائيل ساروا جماعة .
(٢) أووا = نزلوا ، ودخلوا الغار خوفاً من المطر .
(٣) الغار = النقب في الجبل .
(٤) أغبق = الغبوق شرب آخر النهار «شرب العشي» والصبوح شرب أول النهار «شرب الصباح» والمراد لا أُقدم عليهما أحد .
(٥) الأهل = الزوج والولد . والمال = ما يملكه من رقيق وخدم .
(٦) فنأى = بَعُد والنأى البُعد .
(٧) ولفظ مسلم «فنأى في ذات يوم الشجر» .
(٨) فلم أرح = فلم أرجع . والمعنى أنه استطرد مع غنمه في الرعي إلى أن ابتعد عن مكانه زيادة على العادة .

فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا
فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ ،
فَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبُقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا ،
فَلَبِثْتُ ــ والقَدَحُ[٩] عَلَى يَدِي ــ
أَنْتَظِرُ إِسْتِيقَاظَهُمَا
حَتَّى بَرِقَ الفَجْرُ[١٠]
«وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ »[١١] ،
فَاسْتَيْقَظَا .
فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا .
اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ[١٣] ،
فَفَرِّجْ[١٤] عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ .
فَانْفَرَجَتْ شَيْئاً لَا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهُ[١٥] .
وَقَالَ الآخَرُ : اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ ،
كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ
«كُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُ الرِّجَالُ النِّسَاءَ»[١٦] ،

---

(٩) القدح = الإناء الذي يشرب فيه .
(١٠) برق الفجر = أضاء الفجر .
(١١) يتضاغون = يصيحون من الجوع ، والضغاء صوت الذلة والفاقة .
(١٢) هذه الزيادة من رواية مسلم .
(١٣) ابتغاء وجهك = طلب رضاء ذلك ، والتعبير بالوجه عن الذات شائع في اللغة .
(١٤) ففرج = دعاء من التفريج أي افتح .
(١٥) تحركت الصخرة إلا أنهم لم يستطيعوا الخروج من الغار .
(١٦) هذه الزيادة في رواية مسلم .

فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا[١٧] ،
فَامْتَنَعَتْ مِنِّي[١٨] .
حَتَّى أَلَمَّتْ[١٩] بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ[٢٠] فَجَاءَتْنِي ،
فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمائَةَ دِينَارٍ ،
عَلَى أَنْ تُخَلِّي بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا[٢١]
فَفَعَلَتْ[٢٢] .
حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا[٢٣] ،
قَالَتْ :
لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ[٢٤] ،
فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا[٢٥] ،
فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا ،
وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ،

---

(١٧) فأردتها على نفسها = أراد أن يفعل بها الفاحشة ، وقوله «فأردتها» كناية عن طلب الجماع .

(١٨) فامتنعت مني = رفضت طلبي .

(١٩) ألمت = نزلت .

(٢٠) سنة من السنين = أي المجدبة التي لا تنبت فيها الأرض شيئاً . والمراد أنها وقعت في سنة قحط واحتاجت المال .

(٢١) على أن تخلي بيني وبين نفسها = على شرط أن تتركه فيعاشرها بالحرام .

(٢٢) ففعلت = استجابت وقبلت .

(٢٣) حتى إذا قدرت عليها = جلس منها مجلس الرجل من المرأة . وتمكن من الوقاع بها دون معارضة .

(٢٤) لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه = الفض الكسر والفتح ، والخاتم كناية عن الفرج والبكارة . إلا بحقه = بزواج مشروع . أي لا أحل لك أن تقربني إلا بتزويج صحيح .

(٢٥) فتحرجتُ من الوقوع عليها = شعرت بالإثم والمعصية من هذا الفعل . وفي رواية «فلما كشفتها ارتعدت . فقلت : مالك ؟ قالت : أخاف الله رب العالمين . فقلت : تخافينه في الشدة ولم أخفه في الرخاء فقمت وتركتها والمال .»

وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُها ،
اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ،
فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ .
فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا .
وَقَالَ الثَّالِثُ :ــ
اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ[٢٦] ،
فَأَعْطَيْتَهُمْ أَجْرَهُمْ[٢٧] ،
غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ،
تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ ،
فَثَمَّرْتُ[٢٨] أَجْرَهُ
حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ ،
فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ[٢٩] ،
فَقَالَ : يَا عَبْدَاللهِ
أَدِّنِي[٣٠] أَجْرِي ،
فَقُلْتُ لَهُ : كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ :
مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ ،

---

(٢٦) أجراء = الأجير من يعمل بأجر ومقابل .
(٢٧) أجرهم = حسابهم وحقهم .
(٢٨) فثمرت = كثرت ونميت ثمن عمله وأجره الذي لم يأخذه .
(٢٩) بعد حين = بعد مدة .
(٣٠) أدّني أجري = أعطني حقي الذي كنت قد تركته .

فَقَالَ : يَا عَبْدَاللهِ لَا تَسْتَهْزِىءْ بِي[٣١] !
فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَسْتَهْزِىءُ بِكَ ،
فَأَخَذَهُ كُلَّهُ ،
فَاسْتَاقَه[٣٢] فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئاً :
اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ ،
فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ،
فَانْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ ،
فَخَرَجُوا يَمْشُونَ» .

متفق عليه .

---

(٣١) لا تستهزىء بي = لا تسخر مني .

(٣٢) فاستاقه = أخذ الإبل والبقر والغنم والعبيد .

ويستفاد من القصة :ـــ

١ ـــ فضل الالتزام بالصحبة والجماعة الصادقة الأمينة في السفر .
٢ ـــ الكوارث الطبيعية والزلازل المدمرة جند من جنود الرحمن يمحص بها عباده ويختبر فيها خَلْقَهُ .
٣ ـــ يستحب للعبد أن يدعو ربه في الأزمات ـــ وفي كل الأوقات ـــ ويتوسل إليه بصالح الأعمال .
٤ ـــ توقير الوالدين والاحسان إليهما وتحمل المشقة لأجلهما طريق للنجاة والفلاح في الدنيا قبل الآخرة .
٥ ـــ إيثار الوالدين على الأولاد والزوجة وغيرهم .
٦ ـــ فضل الاخلاص في العمل .
٧ ـــ إثبات كرامة الأولياء .
٨ ـــ جواز الاجارة وفضل الوفاء بالعهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة .
٩ ـــ المستودع إذا اتجر في مال الوديعة كان الربح لصالح الوديعة .
١٠ ـــ الاحسان إلى العباد عبادة . وحب الله لا يكون إلا بأن نأتمر بأوامره ونجتنب نواهيه وأن نحسن إلى الناس .
١١ ـــ الاخبار عما جرى للأمم الماضية ليعتبر السامعون .

تنبيـــــه :ـــ

«يستحب لمن وقع في شدة أن يدعو بصالح عمله[٣٣] ، واستدل العلماء بهذا الحديث ، وقد يقال في هذا شيء لأن فيه نوعاً من ترك الافتقار المطلق إلى الله تعالى ، ومطلوب الدعاء الافتقار ، ولكن ذكر النبي ﷺ هذا الحديث ثناء عليهم ، فهو دليل على تصويبه ﷺ ، وبالله التوفيق[٣٤]».

---

(٣٣) التوسل لا يكون إلا بالله وأسمائه الحسنى وصفاته العليا أو بالعمل الصالح كما في هذه القصة أو بدعاء الرجل الصالح وهذه هي الطرق الصحيحة للتوسل المشروع . أنظر مختصر العقيدة الإسلامية ـــ طارق السويدان . ص ٧٥ .
(٣٤) أنظر ـــ الأذكار ـــ للنووي ص ٣٥٥ .

لَطِيفَـــة :ـــ

أي الثلاثة كان أنفع لأصحابه ؟

يقول الإمام الحافظ بن حجر العسقلاني : «صاحب الأبوين فضيلته مقصورة على نفسه لأنه أفاد أنه كان باراً بأبويه ، وصاحب الأجير نفعه متعد وأفاد بأنه كان عظيم الأمانة ، وصاحب المرأة أفضلهم لأنه أفاد أنه كان في قلبه خشية ربه ، وقد شهد الله لمن كان كذلك بأن له الجنة حيث قال ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[٣٥] وقد أضاف هذا الرجل إلى ذلك ترك الذهب الذي أعطاه المرأة فأضاف إلى النفع القاصر النفع المتعدي ، ولا سيما وقد قال إنها كانت بنت عمه ، فتكون فيه صلة رحم أيضا . وقد تقدم أن ذلك كان في سنة قحط فتكون الحاجة إلى ذلك أحرى»[٣٦] .

خـاتمـــة :ـــ

«الاخلاص ، والنية الصالحة ، تبلغ بالانسان الذروة من السمو والرفعة ، وتنزله منازل الأبرار . والاتصاف بصفة الاخلاص يكسب الفرد النجاح والظفر ، والجماعة التي تتألف من أفراد مخلصين تتجه إلى الخير وتتنزه عن الدنايا ، وتترفع عن شهوات الدنيا ، وتسير إلى غاياتها ، تظللها المحبة ويعمها الأمن والسلام»[٣٧] .

---

(٣٥) سورة النازعات : الآية : «٤٠» ، «٤١» .

(٣٦) فتح الباري جـ ٦ ص ٥١١ .

(٣٧) السيد سابق ـــ إسلامنا ـــ ص ٣٩ ، ص ٤١ بتصرف .

القصة الرابعة

«قوة الأمل في الله طريق التوبة»

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ :

«كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسعِينَ نَفساً ،

[ثُمَّ عرضتْ لَهُ التوبَةُ][1]

فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ ،

فَدُلَّ عَلى رَاهِبٍ[2] .

فَأَتاهُ فَقالَ : إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً

فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟

فَقَالَ : لَا !!

فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً ،

ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ ،

---

(١) هذه الزيادة من رواية الإمام أحمد . وقوله ثم عرضت له التوبة = فكر وقرر أن يتوب من قتل الناس .

(٢) الراهب = هو المتعبد في صومعة من النصارى يتخلى عن أشغال الدنيا [قال رسول الله ﷺ : «إن لكل أمة رهبانية ، ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله» أي لأنه فيه بذل النفس لله ، وليس الانقطاع في الصوامع من دين الإسلام] . محمد الأشقر ـ زبدة التفسير ص ٧٢٤ .

فَدُلَّ عَلى رَجُلٍ عالِمٍ،
فَقَالَ : إنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ
فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟
فَقَالَ : نَعَمْ ،
وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ[٣] ؟!
انْطَلِقْ إلَى أرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإنَّ بِهَا أُناساً يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَى[٤] ،
فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ ،
وَلَا تَرْجِعْ إلَى أرْضِكَ[٥]
فَإنَّهَا أرْضُ سَوْءٍ .
فَانْطَلَقَ
حَتَّى إذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ[٦]
أتَاهُ المَوْتُ[٧]
فَاخْتَصَمَتْ[٨] فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ العَذَابِ .
فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِباً مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إلَى اللهِ تَعَالَى !
وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ العَذَابِ :

---

(٣) وَمَن يحول بينه وبين التوبة = استفهام إنكاري ، والمراد : من يمنعك من التوبة وأي شيء يحول بينك وبينه .

(٤) روى الطبراني أن اسم القرية بصرى ، واسم القرية التي كان فيها كفرة .

(٥) أرضك = قريتك .

(٦) نصف الطريق = بلغ نصفها .

(٧) أتاه الموت = مات في منتصف الطريق بين أرض السوء والقرية الصالحة . وفي رواية البخاري [فأدركه الموت فناء بصدره نحوها ـــ أي مال إلى الأرض التي طلبها ـــ فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي ، وأوحى إلى هذه أن تباعدي ، وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجد إلى هذه أقرب بشبر ، فغفر له] .

(٨) اختصمت = اختلفت .

إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ !
فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ
فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ[٩]
فَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ[١٠] ،
فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى[١١] فَهُوَ لَهُ ،
فَقَاسُوا .
فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ ،
فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ» .

متفق عليه .

---

(٩) فجعلوه بينهم = حكماً يفصل ويحكم في أمرهم الذي اختلفوا فيه .
(١٠) الأرضين = التي خرج منها والتي ذهب إليها .
(١١) أدنى = أقرب .

ويستفاد من القصة :ـــ

١ ـــ «عظمة أسلوب النبي ﷺ في التوجيه والموعظة بضرب الأمثلة الواقعية»[١٢] .
٢ ـــ ترك دار المعصية وتغيير البيئة والصحبة من وسائل الاصلاح وسبل قبول التوبة .
٣ ـــ «حب الله تعالى لتوبة عباده وإخباره الملائكة بذلك مباهاة بهم وأخذه بيد عباده التائبين إلى النجاة .
٤ ـــ بذل الجهد وتحمل المشقة من أجل اللحاق بالصالحين .
٥ ـــ التنويه بفضل الانسان حيث جعل الملك الحكم على صورة الآدمي»[١٣] .
٦ ـــ أن الله عز وجل يقبل توبة القاتل عمداً إذا صحت توبته ، وباب التوبة مفتوح .
٧ ـــ ضرورة البحث عن أهل العلم والسؤال عنهم والاستفادة منهم .
٨ ـــ الجاهل الذي يدّعي العلم وينصب من نفسه عالماً ومفتياً ، لا يسلم من سوء العاقبة .
٩ ـــ «إن الملائكة الموكلين ببني آدم يختلف اجتهادهم في حقهم بالنسبة إلى من يكتبونه مطيعاً أو عاصياً ، وأنهم يختصمون ويختلفون في ذلك حتى يقضي الله بينهم[١٤]» لأنهم يسجلون الظاهر من أعمال العبد حسنات كانت أو سيئات ولكن لا اطلاع لهم على القلوب ولا على النيات .
١٠ ـــ حسن الخاتمة دليل قبول التوبة ونيل المثوبة .

تنبيـــــه :ـــ

«ذكر أكثر الفقهاء والمفسرين أن للتوبة أربعة شروط :
الاقلاع عن المعصية حالًا
والندم على فعلها في الماضي
والعزم عزماً جازماً أن لا يعود إلى مثلها أبداً .
وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي ، فيشترط فيها رد المظالم إلى أهلها أو تحصيل البراءة منهم»[١٥] .

---

(١٢) (١٣) نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ـــ جـ ١ ص ٤١ .
(١٤) أنظر ـــ كتاب التوابين ـــ ابن قدامة المقدسي ص ١٠٣ بالهامش .
(١٥) الموسوعة الفقهية ـــ جـ ١٤ ص ١٢٠ .

لَطِيفَـــة :ـــ

قال القرطبي عن الراهب والعالم في القصة السابقة «وبهذا يعرف فضل العلم على العبادة ، لأن الأول غلبت عليه الرهبانية واغتر بوصف الناس له بالعلم فأفتى بغير علم فهلك في نفسه وأهلك غيره . والثاني كان مشتغلا بالعلم فوفق للحق فأحياه الله وأحيا به»[١٧] .

خَـاتِمَـــة :ـــ

يرشدنا الرسول ﷺ في هذه القصة إلى حقيقة نفسية تربوية عظيمة تنص على أن النية الصادقة في التوبة تدفع المذنب إلى ترك المنكر وهجر موطنه والبعد عن أصحابه ، وتولد فيه العزيمة القوية القادرة على تسهيل هذه العملية .

إن إرادة الانسان مكمن التغيير وجوهر الاصلاح فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا اجتهدوا في ذلك فهنالك يرون عون الله ويجدون توفيقه .

---

(١٦) مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جـ ٣٤ ص ١٧٣ .

(١٧) محمد بن علان الصديقي ـــ دليل الفالحين ـــ جـ ١ ص ٩٨ .

القصة الخامسة

«تمحيص الايمان بالابتلاء»

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ :
إِنَّ ثَلاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى[1]
أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ[2] ،
فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكاً
فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟
قَالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ
وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي[3] النَّاسُ ،
فَمَسَحَهُ[4]
فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْناً حَسَناً .

---

(١) أبرص : الذي أصابه داء البرص وهو بياض يقع في الجسد لِعلّة . أقرع : الذي فقد شعر رأسه من آفة . الأعمى : الذي ذهب بصره .

(٢) يبتليهم : يختبرهم

(٣) قذرني الناس : كرهني الناس وتباعدوا عني واشمأزوا من رؤيتي .

(٤) مسح الملك على جسمه فذهب عنه البرص .

فَقَالَ[٥] فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

قَالَ : الإِبِلُ .

فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ[٦]

فَقَالَ : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيها .

فَأَتَى الأَقْرَعَ ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

قَالَ : شَعَرٌ حَسَنٌ ،

وَيَذْهَبُ عَنِّي هٰذَا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ ،

فَمَسَحَهُ ،

فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعْطِيَ شَعراً حَسَناً .

قَالَ : فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

قَالَ : البَقَرُ ،

فَأُعْطِيَ بَقَرَةً حَامِلًا ،

وَقَالَ : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيها .

فَأَتَى الأَعْمَى فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

قَالَ : أَنْ يَرُدَّ اللهُ بَصَرِي فَأُبْصِرَ النَّاسَ ،

فَمَسَحَهُ ،

فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ .

قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟

---

(٥) أي الملك .

(٦) ناقة عشراء : هي الحامل التي أتى عليها في حملها عشرة أشهر من يوم طرقها الفحل وهي من أنفس المال .

قَالَ : الغَنَمُ ،

فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِداً[٧] .

فَأُنْتِجَ هٰذَانِ[٨] ،

وَوَلَّدَ هٰذا[٩] .

فَكَانَ لِهٰذَا وَادٍ[١٠] مِنَ الإِبِلِ ،

ولِهٰذَا وَادٍ مِنَ البَقَرِ ،

ولِهٰذَا وادٍ مِنَ الغَنَمِ !

ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الأَبْرَصَ فِي صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ[١١] ،

فَقَالَ : رَجُلٌ مَسْكِينٌ ،

قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبالُ[١٢] فِي سَفَرِي ،

فَلَا بَلَاغَ[١٣] لِيَ اليَوْمَ إِلَّا باللهِ ثُمَّ بِكَ ،

أَسْأَلُكَ بِالذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ ، والجِلْدَ الحَسَنَ ، والمَالَ ، بَعِيراً أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي ![١٤]

فَقَالَ : الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ[١٥] .

---

(٧) شاة والدا : ذات ولد .

(٨) فانتج هذان : صاحب الإبل والبقر .

(٩) وولد هذا : صاحب الشاه .

(١٠) وادٍ : الوادي كل منفرج من الجبال والتلال والأكام .

(١١) أصبح الملك على هيئة الأبرص قبل شفائه وذهب إليه ليختبره .

(١٢) الحبال : الطرق والأسباب المعينة لطلب الرزق .

(١٣) بلاغ : البلاغ ما يتوصل به إلى الشيء المطلوب . والمراد لا معين لي إلا الله سبحانه وتعالى ثم أنت .

(١٤) أتبلغ به في سفري : أستعين به في سفري .

(١٥) الحقوق كثيرة : أخذ الأبرص يتهرب من مد يد المساعدة ويتعلل بأن أمواله كثيرة لا تكاد تكفيه لما عليه من التزامات ولم يعط الفقير شيئاً .

فَقَالَ : كَأَنِّي أَعْرِفُكَ !
أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ ،
فَقِيراً فَأَعْطَاكَ اللهُ !؟
فَقَالَ : إِنَّمَا وَرِثْتُ هٰذَا المَالَ كابِراً عَنْ كَابِرٍ[١٦] .
فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ[١٧] اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ .
وَأَتَى الأَقْرَعَ فِي صُوْرَتِهِ وَهَيْئَتِهِ[١٨]
فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهٰذَا[١٩] ،
وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هٰذَا[٢٠] .
فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِباً فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنْتَ .
وَأَتَى الأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ،
فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ
وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِي الحِبَالُ فِي سَفَرِي ،
فَلَا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ ،
أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي ؟
فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي ،
فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ ،

---

(١٦) كابرا عن كابر : أبا عن جد وكبير عن كبير في العز والشرف .

(١٧) صيرك : أعادك .

(١٨) أتى الأقرع في صورته وهيئته : أصبح الملك على هيئة الرجل الأقرع قبل شفائه وذهب إليه ليختبره بعد ما أعطاه الله الشعر الحسن والمال الكثير .

(١٩) من طلب المساعدة .

(٢٠) ورد عليه مثل ما رد هذا : رد عليه بنفس رد صاحبه الأبرص حيث رفض مساعدته وتعلل بواجباته الكثيرة .

فَوَاللهِ لَا أُجْهِدُكَ[٢١] اليَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ للهِ عَزَّ وَجَلَّ .
فَقَالَ : أَمْسِكْ مَالَكَ !!
فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ[٢٢] .
فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ ،
وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ[٢٣]» .

متفق عليه .

(٢١) لا أجهدك : لا أشق عليك برد ما تأخذه أو تطلبه من مالي لله تعالى وخذ ما تريد كما تشاء وبلا حساب !!
(٢٢) ابتليتم : اختبرتم وامتحنتم .
(٢٣) صاحبيك : الأبرص والأقرع .

ويستفاد من القصة :ـــ

١ ـــ جواز ذكر ما وقع لمن مضى من مواقف وقصص ليتعظ من سمعه ولا يكون ذلك غيبة فيهم .

٢ ـــ من آداب رواية المواعظ والعبر إغفال ذكر الأسماء وتحديد الأشخاص وعدم تجريح أو تقبيح شخص بعينه .

٣ ـــ في القصة بيان عملي لسنة (قانون) من سنن الله في عباده وهي : أن من يشكر نعمة الله عليه ويؤدي زكاتها يديمها عليه ويزيدها له ثم له جزاء الشاكرين في الآخرة ، ومن يكفر ويجحد نعمة الله عليه يسلبها الله منه وينتظره عذاب الجاحدين في الآخرة ، وذلك مصداق قوله تعالى : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[٢٤] .

٤ ـــ البخل يمحق البركة ويجلب سخط الله وغضبه ، والبخل يحمل صاحبه على الكذب والجحود .

٥ ـــ المؤمن في السراء شاكر وعلى الضراء صابر .

٦ ـــ الابتلاء سنة الحياة وبه يميز الله الخبيث من الطيب والصادق من الكاذب .

٧ ـــ «الجزاء عند الله تعالى على ما يظهر من عمل الانسان وبحسب نيته»[٢٥] .

٨ ـــ الملائكة أجسام نورانية قادرة على التشكل بأشكال المخلوقات .

تنبيـــــه :ـــ

إن الله عز وجل اللطيف الخبير يبتلي عباده بالنعم كما يبتليهم بالبأساء وصدق الله ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[٢٦] . وفي ذلك خير كثير ونفع عظيم لأنه إعداد للعباد لتحمل الأعباء والاستعلاء على الشهوات والملذات ، وإلا فإن الله عز وجل غني عن العباد وعن شكرهم أو كفرهم ، فالابتلاء رحمة للناس وتربية لهم وفي امتحانهم واختبارهم كشف وبيان عن معدن عباد الله المخلصين . وتزكيتهم أمام الملائكة ، فالله يباهي بهم ملائكته .

---

(٢٤) سورة إبراهيم : الآية «٧» .

(٢٥) نزهة المتقين جـ ١ ص ١٠٠ .

(٢٦) سورة الأنبياء : الآية «٣٥» .

لَطِيفَـــة :ـــ

يقول الله عزَّ وجل : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[٢٧] .

«ونقف نحن أمام هذه الحقيقة الكبيرة : حقيقة زيادة النعمة بالشكر ، والعذاب الشديد على الكفر . نقف نحن أمام هذه الحقيقة تطمئن إليها قلوبنا أول وهلة لأنها وعد من الله صادق . فلابد أن يتحقق على أية حال .. فإن أردنا أن نرى مصداقها في الحياة ، ونبحث عن أسبابه المدركة لنا ، فإننا لا نبعد كثيراً في تلمس الأسباب .

إن شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية . فالخيِّر يشكر لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي في الفطرة المستقيمة ..

هذه واحدة .. والأخرى أن النفس التي تشكر الله على نعمته ، تراقبه في التصرف بهذه النعمة بلا بطر ، وبلا استعلاء على الخلق ، وبلا استخدام للنعمة في الأذى والشر والدنس والفساد .

وهذه وتلك مما يزكي النفس ، ويدفعها للعمل الصالح ، وللتصرف الصالح في النعمة بما ينميها ويبارك فيها ، ويرضي الناس عنها وعن صاحبها ، فيكونون له عوناً ، ويصلح روابط المجتمع فتنمو فيه الثروات في أمان ..

والكفر بنعمة الله قد يكون بعدم شكرها . أو بإنكار أن الله واهبها ، ونسبتها إلى العلم والخبرة والكد الشخصي والسعي ! كأن هذه الطاقات ليست نعمة من نعم الله ! وقد يكون بسوء استخدامها بالبطر والكبر على الناس واستغلال للشهوات والفساد .. وكله كفر بنعمة الله ..

والعذاب الشديد قد يتضمن محق النعمة . عيناً بذهابها . أو سحق آثارها في الشعور . فكم من نعمة تكون بذاتها نقمة يشقى بها صاحبها ويحسد الخالين ! وقد يكون عذاباً مؤجلًا إلى أجله في الدنيا أو الآخرة كما يشاء الله . ولكنه واقع لأن الكفر بنعمة الله لا يمضي بلا جزاء .

ذلك الشكر لا تعود على الله عائدته ، وهذا الكفر لا يرجع على الله أثره . فالله غني بذاته محمود بذاته ، لا بحمد الناس وشكرهم على عطاياه»[٢٨] .

---

(٢٧) سورة إبراهيم : الآية «٧» .

(٢٨) سيد قطب ـــ في ظلال القرآن ـــ جـ ٤ ص ٢٠٨٨ باختصار .

خـاتمـــة :ـــ

«في هذه القصة أكبر عبرة لمن كان في قلة وفقر وأنعم الله عليه بالأولاد أو الأموال أو الجاه والمنصب فإنه يجب أن لا يغفل عن حاله الأولى فيكثر من حمدالله وشكره ويحن ويعطف على عباد الله المساكين فنسأل الله التوفيق لشكره آمين والحمدلله رب العالمين»[٢٩] .

---

(٢٩) منصور علي ناصف ـ التاج الجامع للأصول ـ جـ ٥ ص ٢٨٨ بتصرف .

القصة السادسة

« قوة الثقة في الله »

قَالَ الله تَعَالَى : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1] .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا :

«أَوَّلُ مَا اتَّخَذَ النِّسَاءُ المِنْطَقَ[2] مِنَ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ[3]

اتَّخَذَتْ مِنْطَقاً لِتُعَفِّي أَثَرَهَا[4] عَلَى سَارَّةَ

ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ

حَتَّى وَضَعَهُما عِنْدَ البَيْتِ[5]

عِنْدَ دَوْحَةٍ[6] فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى المَسْجِدِ

وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ

---

(١) سورة البقرة : الآية «١٢٧» والمعنى «اذكر يا محمد ، ابراهيم وولده إسماعيل وهما يبنيان الكعبة ويقولان : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم فلم يشغلهما العمل بالجسم عن ذكر الله تعالى» . التاج الجامع للأصول جـ ٤ ص ٤٣ .

(٢) المنطق : الحزام الذي يشد به الوسط عند الشغل .

(٣) أم اسماعيل : وهي السيدة هاجر التي وهبها ملك مصر للسيدة سارة امرأة إبراهيم عليه السلام ووهبتها سارة لابراهيم .

(٤) لتعفي أثرها : لتخفي أثرها ولكي تظهر بمظهر الخادمة أمام سيدتها سارة التي غارت منها لأنها أنجبت اسماعيل وهي لا تنجب .

(٥) وذلك قبل بنائه .

(٦) الدوحة : شجرة كبيرة .

وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ

وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِراباً[٧] فِيهِ تَمْرٌ ،

وسِقَاءً[٨] فِيهِ مَاءٌ .

ثُمَّ قَفَّى[٩] إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقاً

فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ

فَقَالَتْ : يا ابْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكنَا بِهذَا الوَادِي

الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ ؟

فَقَالَتْ لَهُ ذٰلِكَ مِرَاراً ،

وَهُوَ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا !!

فَقَالَتْ : آللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهٰذَا ؟[١٠]

قَالَ : نَعَمْ ،

قَالَتْ : إِذاً لَا يُضَيِّعُنَا ،

ثُمَّ رَجَعَتْ .

فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ[١١]

لَا يَرَوْنَهُ ،

اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ

---

(٧) جراباً : وعاء يحفظ فيه الزّاد ونحوه .

(٨) سقاء : قربة صغيرة .

(٩) قفى : رجع إلى الشام وترك إسماعيل وأمه في الوادي .

(١٠) آلله الذي أمرك بهذا : هل أمرك الله أن تتركنا هنا ؟ وفي رواية : ناديته ثلاثاً فأجابها في الثالثة ، فقالت له : من أمرك بهذا ؟ قال : الله . قالت : حسبي الله .

(١١) عند الثنية : التي بأعلى مكة في طريق منى وعرفات وهو الموضع الذي دخل منه النبي ﷺ مكة .

ثُمَّ دَعَا بِهٰؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ

وَرَفَعَ يَدَيْهِ : رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بيتِكَ المُحَرَّمِ[١٢] ..

حَتَّى بَلَغَ يَشْكُرُونَ[١٣] ،

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ ،

وَتَشْرَبُ مِنْ ذٰلِكَ المَاءِ ،

حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ :

عَطِشَتْ ،

وَعَطِشَ ابْنُهَا[١٤] !!

وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى[١٥]

فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ

فَوَجَدَتِ الصَّفَا[١٦] أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا

فَقَامَتْ عَلَيْهِ[١٧]

ثُمَّ استَقْبَلَتِ الوادِي[١٨] تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَداً

---

(١٢) أي أن إبراهيم عليه السلام كان يعلم أن البيت الحرام هنا وأزاله عن وجه الأرض الطوفان .. والحرم الذي يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره وهو حرام من يوم خلق الله السموات والأرض .

(١٣) وتمام الآية : ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾سورة إبراهيم : الآية «٣٧» .

(١٤) فلما فرغ الماء الذي كان في القربة الصغيرة «السقاء» عطشت السيدة هاجر فانقطع لبنها فعطش ابنها اسماعيل .

(١٥) يتلوى : يبكي ويتقلب من العطش . وفي رواية أن اسماعيل أخذ «يتلبط» أي يتمرغ ويضرب في الأرض . وفي أخرى : «يتلمظ» أي يخرج لسانه قيل به شفتيه وكان سنه حينئذ سنتين .

(١٦) الصفا : الصفا والمروة جبلان بجوار البيت الحرام .

(١٧) فقامت عليه : صعدت على الصفا أولا لعلها تجد من يغيثها بالماء .

(١٨) الوادي : كل منفرج بين الجبال والتلال والآكام .

فَلَمْ تَرَ أَحَداً
فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا
حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ
رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا[١٩]
ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ[٢٠] ،
حَتَّى جَاوَزَتِ الوَادِيَ
ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ
فَقَامَتْ عَلَيْهَا ،
فَنَظَرَتْ : هَلْ تَرَى أَحَداً ،
فَلَمْ تَرَ أَحَداً
فَفَعَلَتْ ذٰلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ .
قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : قَالَ النبي ﷺ :
فَذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا[٢١] ،
فَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ[٢٢]
سَمِعَتْ صَوْتاً !!
فَقَالَتْ : صَهٍ[٢٣] ــ تريد نفسها ــ[٢٤]

---

(١٩) درعها : قميصها .
(٢٠) الانسان المجهود : الذي أصابه الجهد والتعب .
(٢١) فذلك سعى الناس بينهما : فمن هذا الموقف شرع السعي بين الصفا والمروة في النسك أثناء الحج والعمرة .
(٢٢) فلما أشرفت على المروة : فلما صعدت فوق الجبل ..
(٢٣) صه : اسكتي .
(٢٤) تريد نفسها : تخاطب نفسها .

ثُمَّ تَسَمَّعَتْ
فَسَمِعَتْ أَيْضاً !!
فَقَالَتْ : قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غِواثٌ[٢٥]
فَإِذَا هِيَ بِالمَلَكِ[٢٦] عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ
فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ[٢٧] أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ
حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ
فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ[٢٨]
وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا[٢٩] ،
وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا[٣٠]
وَهُوَ يَفُورُ[٣١] بَعْدَمَا تَغْرِفُ
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ
لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ أَوْ قَالَ لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْناً مَعِيناً[٣٢] .
فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا ،

---

(٢٥) قد أسمعت إن كان عندك غواث : سمحك فإن كان عندك حاجتي من الماء والطعام فأغثني وساعدني .

(٢٦) فإذا هي بالملك عند موضع زمزم : رأت هاجر جبريل عليه السلام بجوار مكان ماء زمزم .

(٢٧) فبحث بعقبه : فضرب جبريل الأرض بعقبه فظهر الماء . والعقب عظم مؤخر القدم .

(٢٨) فجعلت تحوضه : فرحت وصارت تجمع التراب حول الماء كالحوض لئلا يتبعثر .

(٢٩) وتقول بيدها هكذا : هو حكاية فعلها ، وهذا من إطلاق القول على الفعل . وفي رواية : «فجعلت تحبس الماء فقال دعيه فإنها رواء» .

(٣٠) سقائها : قربتها .

(٣١) يفور : خرج الماء من الأرض وجرى متدفقاً .

(٣٢) لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عيناً معيناً : لو لم تحوط على الماء لكان عيناً تجري مادامت الدنيا . قال ابن الجوزي : «كان ظهور زمزم نعمة من الله محضة بغير عمل عامل ، فلما خالطها تحويط هاجر داخلها كسب البشر فقصرت على ذلك ..» فتح الباري جـ ٦ ص ٤٠٢ .

فَقَالَ لَهَا المَلَكُ : لَا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ[٣٣] ،
فَإِنَّ هٰهُنَا بَيْتَ اللهِ
يَبْنِيهِ هٰذَا الغُلَامُ وَأَبُوهُ
وَإِنَّ اللهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ .
وَكَانَ البَيْتُ مُرتَفِعاً مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ[٣٤]
تَأْتِيهِ السُّيُولُ فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ[٣٥]
فَكَانَتْ كَذٰلِكَ[٣٦] ،
حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُمَ[٣٧] ،
مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كداءٍ[٣٨]
فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ ،
فَرَأَوْا طَائِراً عَائِفاً[٣٩] ،
فَقَالُوا إِنَّ هٰذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ ،
لَعَهْدُنَا بِهٰذَا الوادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ[٤٠] ،

---

(٣٣) فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة .. ← بشرها جبريل وقال لا تخافي الهلاك والموت فأنتم أهل بيت الله فالله معكم وهو حافظكم .
وفي رواية : «لا تخافي على أهل هذا الوادي ضمأ فإنها عين يشرب بها ضيفان الله» .

(٣٤) كالراية : مرتفعاً عن الأرض .

(٣٥) تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله = المياه تأتيه بكثرة ومن كل جهة وتجري بسرعة .

(٣٦) فكانت كذلك = واستمر حال البيت الحرام «القواعد» على ذلك الحال .

(٣٧) جرهم = قبيلة عربية خرجت من اليمن .

(٣٨) طريق كداء = أعلى مكة .

(٣٩) عائفاً : يحوم .

(٤٠) لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء = الذي نعرفه ونعلمه أن هذا الوادي ليس فيه ماء فكيف يحوم هذا الطائر حول هذا المكان .

فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أو جَرِيَّيْنِ[41]
فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ بِالْمَاءِ ،
فَأَقْبَلُوا وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ ،
فَقَالُوا : أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ ؟
قَالَتْ : نَعَمْ ،
وَلٰكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ[42] .
قَالُوا : نَعَمْ ،
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : فَأَلْفَى ذٰلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ
وَهِيَ تَحِبُّ الْأُنْسَ[43]
فَنَزَلُوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ
حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلُ أَبْيَاتٍ مِنْهُمْ ،
وَشَبَّ الْغُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ[44]
وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ[45]
فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ إِمْرَأَةً مِنْهُمْ ،
وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ ،
فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ[46]

---

(٤١) فأرسلوا جرياً أو جريين = بعثوا رسولين يستعلمان الخبر .

(٤٢) ولكن لا حق لكم في الماء = سمحت لهم بالنزول والسكن عند زمزم بشرط أن الماء يبقى لها فلا يأخذون منه إلا بإذنها .

(٤٣) فألفى ذلك أم اسماعيل = فرحت السيدة هاجر بهذه الجيرة .

(٤٤) وشب الغلام وتعلم العربية منهم = أدرك اسماعيل مرحلة الشباب وتعلم منهم العربية .

(٤٥) وأنفسهم وأعجبهم حين شب = صار نفيساً عندهم يرغبون فيه ويعجبون بأخلاقه .

(٤٦) فجاء إبراهيم يطالع تركته = جاء إبراهيم يتفقد ما تركه هناوهو اسماعيل وأمه .

فَلَمْ يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ
فَسَأَلَ امْرأَتَهُ عَنْهُ
فَقَالَتْ : خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا[٤٧] ،
ثُمَّ سَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ[٤٨]
فَقَالَتْ : نَحْنُ بَشَرٌ نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ فَشَكَتْ إِلَيْهِ .
قَالَ : فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكَ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ[٤٩]
وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ[٥٠] !!
فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنَسَ شيئاً ،
فَقَالَ : هَلْ جَاءَكُمْ أَحَدٌ ؟
قَالَتْ : نَعَمْ ، جَاءَنَا شَيْخٌ كَذَا وَكَذَا
فَسَأَلَنَا عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ ،
وَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا فِي جَهْدٍ وَشِدَّةٍ .
قَالَ : فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيْءٍ ؟
قَالَتْ : نَعَمْ ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلَامَ
وَيَقُولُ غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ ،
قَالَ : ذَاكَ أَبِي وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ[٥١]

---

(٤٧) خرج يبتغي لنا = يطلب لنا الرزق .
(٤٨) وهيئتهم = أحوالهم .
(٤٩) فاقرئي عليه السلام = بلغيه السلام .
(٥٠) يغير عتبة بابه = كناية عن المرأة . أي يطلقها ويأخذ غيرها .
(٥١) أفارقك = أطلقك .

إلْحَقِي بِأَهْلِكِ[٥٢] ،
فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ مِنهُمْ أُخرَى ،
فَلَبِثَ عَنْهُمْ إبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللّٰهُ[٥٣]
ثُمَّ أَتَاهُمْ فَلَمْ يَجِدْهُ
فَدَخَلَ عَلَى امْرَأَتِهِ فَسَأَلَهَا عَنْهُ ،
فَقَالَتْ : خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا ،
قَالَ : كَيْفَ أَنْتُمْ
وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ ،
فَقَالَتْ : نَحْنُ بِخَيْرٍ وَسِعَةٍ وَأَثْنَتْ عَلَى اللّٰهِ
فَقَالَ : مَا طَعَامُكُمْ
قَالَتِ : اللَّحْمُ ،
قَالَ : فَمَا شَرَابُكُمْ ؟
قَالَتِ : المَاءُ ، .
قَالَ : اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِي اللَّحْمِ وَالْمَاءِ ،
قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ حَبٌّ[٥٤] وَلَوْ كَانَ لَهُمْ لَدَعَا لَهُمْ فِيهِ ،
قَالَ : فَهُمَا لَا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ[٥٥] .

---

(٥٢) ألحقي بأهلك = اذهبي إلى أهلك .

(٥٣) فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله = مكث مدة بالشام ولم يحضر لزيارتهم حتى شاء الله له ذلك .

(٥٤) حب = كالقمح والشعير .

(٥٥) وفي رواية : «ليس أحد يخلو على اللحم والماء بغير مكة إلا اشتكى بطنه» . فهذه خصوصية لأهل مكة .

قَالَ : فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ
وَمُرِيهِ يُثَبِّتْ عَتَبَةَ بَابِهِ ،
فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ : هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ؟
قَالَتْ : نَعَمْ ،
أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ
فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ
فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ ،
قَالَ : فَأَوْصَاكِ بِشَيْءٍ ؟
قَالَتْ : نَعَمْ ،
هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ .
قَالَ : ذَاكَ أَبِي وَأَنْتِ العَتَبَةُ
أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ[٥٦] .
ثُمَّ لَبِثَ إِبْرَاهِيمُ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ
ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذٰلِكَ .
وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ[٥٧] تَحْتَ دَوْحَةٍ[٥٨] قَرِيباً مِنْ زَمْزَمَ
فَلَمَّا رَآهُ : قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَ كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالوَالِدِ[٥٩] .
ثُمَّ قَالَ : يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ !!

(٥٦) أمرني أن أمسكك = أمرني أبي وأوصاني بالمحافظة عليك .
(٥٧) يبري نبلًا له = ينحت ويصنع السهام .
(٥٨) دوحة = شجرة عظيمة . وهذا المشهد يتطق بدقة التصوير وجمال التعبير .. فمن إيحاءات تلك الكلمات أن منطقة زمزم كانت صحراء قاحلة وأرض جرداء وها هي الآن أصبحت مكسوة بحلية من الأشجار الجميلة ..
(٥٩) قام له اسماعيل فتعانقا وتصافحا وقبّل كل منهما الآخر .

قَالَ : فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ

قَالَ : وَتُعِينُنِي ؟

قَالَ : وَأُعِينُكَ .

قَالَ : فَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هٰاهُنَا بَيْتاً ،

وَأَشَارَ إِلَيَّ أَكَمَةٍ[٦٠] مُرْتَفِعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا ،

قَالَ : فَعِنْدَ ذٰلِكَ رَفَعَا القَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ

فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالحِجَارَةِ

وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي

حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ

جَاءَ بِهٰذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ

فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي[٦١]

وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحِجَارَةَ

وَهُمَا يَقُولَانِ : رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ .

رَوَاهُ البُخَارِيُّ

---

(٦٠) أكمة = التل .

(٦١) فلما ارتفع البناء جاء اسماعيل بحجر عظيم فكان إبراهيم يقف عليه ويبني . وهذا الحجر يسمى مقام إبراهيم الآن في الحرم الشريف .

ويستفاد من القصة :ـــ

١ ـــ الغيرة في النساء غريزة وطبيعة ، فعلى الزوج ملاطفتهن منعاً للنزاع والصراع .
٢ ـــ السعي بين الصفا والمروة في النسك تخليد لذكرى بلاء هاجر وابنها اسماعيل عليهم السلام .
٣ ـــ اسماعيل أول من نطق بالعربية من ولد ابراهيم .
٤ ـــ ماء زمزم ماء مبارك أودع الله فيه كل العناصر اللازمة لبناء الجسم الانساني وكانت السيدة هاجر تتغذى منه فيكفيها عن الشراب والطعام . ويؤيد ذلك ما روى عن أبي ذر مرفوعا «زمزم مباركة ، إنها طعام طعم ، وشفاء سقم»[٦٢] وأيضا قوله ﷺ «ماء زمزم لما شرب له»[٦٣] .
٥ـــ التعقيب اليسير المناسب والتعليق القصير المفيد على بعض أحداث القصة أثناء روايتها أسلوب تربوي هادف ينبغي استغلاله وتطويعه في خدمة الواقع .
٦ ـــ فضل الدعاء وخاصة للأهل والولد .
٧ ـــ ضرورة السعي في طلب الأقارب وزيارتهم والتودد إليهم ولو بعدوا .
٨ ـــ من حق الزوج أن يسأل عمَّن دخل بيته في حال غيابه .
٩ ـــ طاعة الوالدين فريضة محكمة وعبادة قيمة .
١٠ ـــ سرعة الاستجابة لأوامر الله عز وجل ، وعلو همة الأنبياء .
١١ ـــ القيام بأعمال الخير بالتعاون مع الغير .
١٢ ـــ «أن عاقبة صبر «هاجر» وابنها على البُعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد آلت إلى ما آلت إليه ، من جَعْل آثارهما ومواطىء أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين ، ومتعبداتٍ لهم إلى يوم القيامة ، وهذه سنته تعالى فيمن يريد رفعه منْ خلقه أن يمنَّ عليه بعد استضعافه ، وذله ، وانكساره . قال تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[٦٤] . **وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم**[٦٥] .

---

(٦٢) رواه مسلم .
(٦٣) رواه أحمد .
(٦٤) سورة القصص : الآية «٥» .
(٦٥) ابن قيم الجوزية ـــ زاد المعاد ـــ جـ ١ ص ٧٥ .

تنبيـــه :ـــ

«لما أرادت قريش بناء الكعبة قبل البعثة النبوية ، رأت أن ما جمع من المال الحلال لا يفي ببنائها على قواعد إبراهيم فتركت الجزء الشمالي (حِجر اسماعيل) فقالت عائشة : أتبنيها على قواعد ابراهيم يا رسول الله ؟ قال : لولا حدثان ـــ حداثة ـــ قومك بالكفر لفعلت ذلك ، ولذا كان النبي ﷺ في طوافه لا يستلم الركنين المجاورين للحجر»[٦٦] .

«ومما أوضحه الأزرقي واتفق عليه المؤرخون أن الكعبة بنيت عشر مرات هي :ـــ

١ ـــ بناية الملائكة ٢ ـــ بناية آدم ٣ ـــ بناية شيث

٤ ـــ بناية ابراهيم وابنه اسماعيل ٥ ـــ بناية العمالقة ٦ ـــ بناية جرهم

٧ ـــ بناية مضر ٨ ـــ بناية قريش ٩ ـــ بناية ابن الزبير

١٠ ـــ بناية الحجاج .

وقد بنيت للمرة الحادثة عشرة ، عام ١٠٣٩هـ في عهد السلطان مراد بن السلطان أحمد من سلاطين آل عثمان» [٦٧] .

لَطِيفَـــة :ـــ

كيف ترك ابراهيم ابنه الرضيع وزوجه هاجر في مكان موحش مقفر ؟

يقول الشيخ محمد علي الصابوني : «الله أكبر .. إنه الإيمان الذي يصنع الأعاجيب ، ويأتي بالغرائب التي لا تكاد أن تصدق ، فكيف تطمئن نفس ابراهيم إلى أن يترك وليده الرضيع مع أمه في مكان موحش قفر ، ليس به ساكن ولا سمير ولا أنيس ؟!!

وكيف رضيت «هاجر» أن تبقى وحيدة فريدة في بقعة جرداء ، ليس فيها طعام ولا ماء ، وتتعرَّض للجوع القاتل ، والعطش المميت ، والذئاب الموحشة الضارية ؟!

---

(٦٦) التاج الجامع للأصول جـ ٤ ص ٤٩ بتصرف .

(٦٧) جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين ـــ المنهاج للمعتمر والحاج ـــ ص ١٩٠ . عباس كراره ـــ الدين وتاريخ الحرمين الشريفين ـــ ص ٦٩ .

إنه الإيمان الذي عمر قلب ابراهيم وزوجه هاجر ، حتى ضحيا براحتهما في سبيل تنفيذ أمر الله»[٦٨] !

«فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليه ، ولو كان مجرداً من كل مظاهر القوة ، ومن كانت قوة الله عليه فلا أمن له ولا طمأنينة ولو ساندته جميع القوى ، ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله ، ومن فقد هذه القيمة فليس بنافعه شيء أصلًا»[٦٩] .

خـاتمـــة :ـــ

في هذه القصة يلفت الرسول ﷺ أنظارنا إلى علو همة الأنبياء وصدق إيمانهم كما يعرض لنا الجانب المشرق لعلاقة الأب بإبنه من سمع وطاعة ، وثبات وتضحية في أداء أوامر الله ..

ويكشف لنا أصناف النساء والكثير من طباعهن .. وفي القصة صور متنوعة لنماذج نسائية بلغت القمة في الإيمان والأخلاق وحسن العشرة .. وفي المقابل صورة تظهر فيها المرأة المتذمرة الساخطة من ضيق العيش وفقر الزوج .. فكانت نهايتها الحزينة .

فانظر كيف يعرض الرسول ﷺ هذه النماذج البشرية العالية التي استسلمت وأسلمت نفسها لله فتقبلت هذه الحياة الشديدة عن رضا وإيمان وهكذا يصنع الإيمان المجتمع المسلم .

---

(٦٨) النبوة والأنبياء - ص ١٧٠ .

(٦٩) سيد قطب ـــ في ظلال القرآن ـــ جـ ٥ ص ٢٦٧٤ .

القصة السابعة

عاطفة الأمومة تهدي الى الحق

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ :
بَيْنَمَا امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا ،
جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا !!
فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا :
إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ أَنْتِ !
وَقَالَتِ الأُخْرَى :
إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ ،
فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .
فَقَضَى بِهِ لِلكُبْرَى .
فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدعَلَيْهِمَاالسَّلَامُ ،
فَأَخْبَرَتَاهُ ،
فَقَالَ : ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ !!

---

(١) فقضى به للكبرى = حكم داود بأن الولد للمرأة الكبرى إما بسبب الشبه بينهما أو لأن شرعه يرجح قول الكبرى وإما لأنه كان في يدها .

(٢) فأخبرتاه = بما حكم داود عليه السلام .

أَشُقُّهُ بَيْنَكُمَا !!

فَقَالَتْ الصُّغْرَى : لَا ،

يَرْحَمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا ،

فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى .

فَقَالَ أَبُوهُرَيْرَةَ : وَاللهِ مَا سَمِعْتُ بِالسِّكِّينِ إِلَّا يَوْمَئِذٍ مَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمُدْيَةَ .

رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَالنَّسَائِيُّ

ويستفاد من القصة :ـــ

١ ـــ مدى رحمة الأم بوليدها ومنزلة الولد في قلبها .

٢ ـــ أن الأنبياء يسوغ لهم الاجتهاد .

٣ ـــ يجوز للحاكم أن ينقض ما حكم به غيره إذا تبين له الحق في خلافه .

٤ ـــ الفطنة والفهم موهبة ومنحة من الله لا تتعلق بكبر سن ولا صغره وفي مثل هذا الحكم الذي قضى به سليمان يقول الله تعالى : ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[٣] .

٥ ـــ عاطفة المرأة جياشة واختيار العاطفة في اختبارها يناسب فطرتها .

٦ ـــ جواز استخدام الحيل لانتزاع الحقائق وكشفها .

٧ ـــ حبل الكذب قصير ونفعه حقير .

٨ ـــ التقوى أساس العلم النافع .

تنبيـــه :ـــ

خطأ سيدنا داود في الحكم إنما هو خطأ في الاجتهاد ، والأنبياء غير معصومين عن الخطأ والنسيان في غير التشريع الذي يوحيه الله إليهم لأنهم بشر يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم ، على أن الله تعالى يحفظهم من كل شيء ينافي الدعوة إلى الله[٤] .

---

(٣) سورة الأنبياء : الآية «٧٩» . قال المفسرون «تخاصم إلى داود رجلان دخلت غنم أحدهما على زرع الآخر بالليل فأفسدته فلم تبق منه شيئاً ، فقضى بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم ، فخرج الرجلان على سليمان وهو بالباب فأخبراه بما حكم به أبوه فدخل عليه فقال : يا نبي الله لو حكمت بغير هذا كان أرفق للجميع ! قال: وما هو ؟ قال : يأخذ صاحب الغنم الأرض فيصلحها ويلدرها حتى يعود زرعها كما كان ، ويأخذ صاحب الزرع الغنم وينتفع بألبانها وصوفها ونسلها ، فإذا خرج الزرع رُدّت الغنم إلى صاحبها والأرض إلى ربها . فقال له داود : وُفّقت يا بني وقضى بينهما بذلك ..» صفوة التفاسير جـ ٢ ص ٢٧٠ .

أما في شرعنا فعلى «أهل الماشية حفظها بالليل ، وعلى أصحاب الحوائط حفظها بالنهار ، وأن ما أفسدت المواشي بالليل مضمون على أهلها ، وهذا الضمان هو مقدار الذاهب عيناً أو قيمة» زبدة التفسير ص ٤٢٨ .

(٤) انظر الصابوني ـــ النبوة والأنبياء ص ٦٥ ، وأيضا د. محمد أبواللبط الفرت ـــ العقيدة الاسلامية ـــ ص ١٦٥ .

فإذا اجتهد النبي منهم في أمر لاستنباط الحكم الصواب ــ وكان الحكم الذي وصل إليه غير صواب ــ بيَّن الله له الصواب ولم يحاسبه على الخطأ لأنه خطأ غير متعمد إذ هو ترجيح لحكم بعد اجتهاد وظن أنه الصواب ولكنه كان خلاف الأولى .

اللطيفة الأولى :ــ

«روي أن امرأة تحاكمت إلى شريح فبكت ، فقال الشعبي : يا أباأمية أما تراها تبكي ؟ فقال الشعبي : لقد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمةٌ كذبة ، لا ينبغي للانسان أن يقضي إلا بالحق»[٥] .

اللطيفة الثانية :ــ

«لو حكم حاكم على مدع منكر بيمين ، فلما مضى ليحلفه حضر من استخرج من المنكر ما اقتضى إقراره بما أراد أن يحلف على جحده ، فإنه والحالة هذه يحكم عليه بإقراره سواء كان ذلك قبل اليمين أو بعدها ، ولا يكون ذلك من نقض الحكم الأول ، ولكن من باب تبدل الأحكام بتبدل الأسباب»[٦] .

خاتِمَـــة :ــ

الفهم في الحكم منحة من الله تبارك وتعالى والرسول ﷺ في هذه القصة يربينا ويؤدبنا بأن نمعن النظر دائما وأبدا فيما يعرض لنا من قضايا وأن نتثبت في الأحكام حتى نصل إلى الحق الصراح كما صنع سليمان عليه السلام وفي مثله قال الله لداود ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾[٧] .

---

(٥) ابن حجر العسقلاني ــ فتح الباري ــ جـ ٦ ــ ص ٤٦٥ .

(٦) الصابوني ــ صفوة التفاسير ــ جـ ٢ ص ٤٥ .

(٧) سورة ص : الآية «٢٦» .

القصة الثامنة

الجزاء من جنس العمل

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

«إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ !

وَكَانَ يُدَايِنُ[1] النَّاسَ

فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ[2] : خُذْ مَا تَيَسَّرَ ،

واتْرُكْ مَا عَسُرَ[3] ، وَتَجَاوَزْ

لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا !

فَلَمَّا هَلَكَ[4]

قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْراً قَطُّ ؟

قَالَ : لَا ،

إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي غُلَامٌ ، وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ ،

فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى[5] ،

---

(١) يداين = يقرض

(٢) فيقول لرسوله = خادمه وعامله .

(٣) خذ ما تيسر واترك ما عسر = خذ حقنا ممن يملك السداد وتجاوز وتساهل مع من لا يملك .

(٤) هلك = مات .

(٥) بعثته ليتقاضى = أرسلته ليجمع الديون .

قُلْتُ لَهُ : خُذْ مَا تَيَسَّرَ
وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ ،
وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللهَ[٦] يَتَجَاوَزَ عَنَّا .
قَالَ اللهُ تَعَالَى : قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ[٧] .

رَواهُ النَّسائيُّ

(٦) لعل الله = عسى الله .
(٧) تجاوزت عنك = غفرت لك وسامحتك كما سامحت الناس في الدنيا .

ويستفاد من القصة :ـــ

١ ـــ التلطف في المطالبة بالحقوق والعفو عن دين الفقير المعدم .
٢ ـــ حسن الظن بالله ، والإيمان بسعة رحمته وعظيم كرمه وجوده .
٣ ـــ «أن اليسير من الحسنات إذا كان خالصاً لله كفّر كثيراً من السيئات»[٨] .
٤ ـــ إن الأجر يحصل لمن يأمر بالخير وإن لم يتول ذلك بنفسه .
٥ ـــ الإحسان إلى الناس من خير الأعمال وأفضلها عند الله سبحانه وتعالى .
٦ ـــ الجزاء من جنس العمل فمن يفرج عن الناس كربهم في الدنيا فرج الله عنه كربته في الآخرة قال ﷺ : «من أنظر معسرا أو وضع له أظله الله في ظل عرشه»[٩] .

تَنْبيـــــه :ـــ

الذي يقرض الناس ثم يأخذ عند السداد أكثر مما أعطى أو يضاعف المبلغ في حال التأخير مثل هذه الزيادة تعتبر ربا ، فكل قرض جر نفعا فهو ربا . والمجتمع الربوي مجتمع هالك لا يعرف درب السعادة لأنه أساء استخدام مال الله واستغل حاجة وضعف عباد الله فاستحق غضبه ونقمته . قال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[١٠] .

لَطِيفَـــــة :ـــ

المسلم يسعى للربح الحلال كما أنه يساعد المعوزين ويعين المحتاجين ، والاسلام دين ودولة ، جاء ليحث الناس على التراحم والتعاون في سداد الديون وتنظيم عملية التداين حتى كانت أطول آية قرآنية هي آية الدَّين في سورة البقرة : (الآية ٢٨٢) .
هذا هو الاسلام عقيدة وشريعة وجهان لعملة واحدة .

---

(٨) ابن حجر العسقلاني ـــ فتح الباري ـ جـ ٤ ص ٣٠٩ .
(٩) رواه مسلم ، وله من حديث أبي قتادة مرفوعاً «من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه» .
(١٠) سورة البقرة : الآية «٢٧٨ ـــ ٢٧٩» .

خاتمـــة :ـــ

الرسول ﷺ بعرضه هذه القصة يحرِّضنا على أن نتعامل بالفضل وأن نيسر على المعسر . ويبين أن التراحم مع عباد الله سبيل الخير وطريق الفوز برضى الله عز وجل .

القصة التاسعة

كفى بالله وكيلا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ،

سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ[1] أَلْفَ دِينَارٍ ،

فَقَالَ : ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ ،

فَقَالَ : كَفَى بِاللهِ شَهِيداً .

قَالَ : فَائْتِنِي بِالكَفِيلِ ،

قَالَ : كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا .

قَالَ : صَدَقْتَ ،

فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ[2] عَلَى أَجَلٍ مُسَمًّى .

فَخَرَجَ فِي البَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ[4] ،

ثُمَّ التَمَسَ مَرْكَباً يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الذِي أَجَّلَهُ[5]

---

(١) يسلفه = يقرضه .

(٢) فدفعها إليه = أعطاه الألف دينار .

(٣) على أجل مسمى = وحدد له وقتاً معلوماً يعيد فيه القرض .

(٤) وفي رواية «فركب الرجل البحر بالمال يتجر فيه فقدر الله أن حل الأجل وارتج البحر بينهما» .

(٥) التمس مركباً : بحث عن سفينة توصله حيث يدفع القرض الذي عليه والذي قد حان موعد سداده .

فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَباً[٦] ،
فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا
فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ[٨] ،
ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا[٩]
ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى البَحْرِ
فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِي كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فِلَاناً أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلًا
فَقُلْتُ كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا ،
فَرَضِيَ بِكَ .
وَسَأَلَنِي شَهِيداً فَقُلْتُ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ،
فَرَضِيَ بِذَلِكَ .
وَإِنِي جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَباً أَبْعَثُ إِلَيْهِ الذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ .
وَإِنِي أَسْتَوْدِعُكَهَا .
فَرَمَى بِهَا فِي البَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ[١٠] ،
ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذٰلِكَ يَلْتَمِس[١١] مَركباً يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ[١٢] .
فَخَرَجَ الرَجُلُ الذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَباً قَدْ جَاءَ بِمَالِهِ ،
فَإِذَا بِالخَشَبَةِ التِي فِيهَا المَالُ ،

---

(٦) وفي رواية «وغدا رب المال إلى الساحل يسأل عنه ويقول : اللهم اخلفني وإنما أعطيت لك» .
(٧) فنقرها = فحفرها .
(٨) ورسالة إلى الدائن . وفي رواية «وكتب إليه صحيفة : من فلان إلى فلان ، إني دفعت مالك إلى وكيلي الذي توكل بي» .
(٩) زجج موضعها = سوى موضع النقر وأصلحه .
(١٠) ولجت فيه = دخلت في البحر .
(١١) يلتمس = يطلب .
(١٢) أي بلد الذي سلفه وأقرضه المال .

فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَباً[١٣] ،
فَلَمَّا نَشَرَهَا[١٤] وَجَدَ المَالَ وَالصَحِيفَةَ ،
ثُمَّ قَدِمَ الذِي كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَىٰ بِالأَلْفِ دِينارٍ ،
فَقَالَ : وَاللهِ مَازِلْتُ جَاهِداً فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيكَ بِمَا لَكَ ،
فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَباً قَبْلَ الذِي أَتَيْتُ فِيهِ .
قَالَ : هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ ؟
قَالَ : أُخْبِرُكَ أَنِي لَمْ أَجِدْ مَرْكَباً قَبْلَ الذِي جِئْتُ فِيهِ .
قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الذِي بَعَثْتَ فِي الخَشَبَةِ ،
فَانْصَرِفْ بِالأَلْفِ دِينَارٍ رَاشِداً» .

رَوَاهُ البُخَارِيُّ

(١٣) فأخذها لأهله حطباً = فأخذها لأجل أهله يجعلونها حطباً للإيقاد . وفي رواية «وغدا رب المال يسأل عن صاحبه كما كان يسأل فيجد الخشبة فيحملها إلى أهله فقال : أوقدوا هذه ، فكسروها فانتثرت الدنانير منها والصحيفة ، فقرأها وعرف» .
(١٤) نشرها = قطعها بالمنشار .

ويستفاد من القصة :ـــ

١ ـــ الحرص على الوفاء بالدَين وبذل كل الأسباب المتاحة لذلك .
٢ ـــ «التحدث عما كان في بني اسرائيل وغيرهم من العجائب للاتعاظ والاتساء .
٣ ـــ طلب الشهود في الدين وطلب الكفيل به .
٤ ـــ فضل التوكل على الله وأن من صح توكله تكفل الله بنصره وعونه»[١٥] .
٥ ـــ تحري التعامل التجاري مع أهل التقوى والورع .
٦ ـــ الشعور برقابة الله عز وجل يجعل كل فرد رقيباً على نفسه حامياً لحقوق الآخرين .

لَطِيفَـــة :ـــ

المتوكل على الله عز وجل رجل عميق الإيمان بالله رب العالمين يعيش في ظلال العبودية الحقة والطاعة الصادقة ، فهو يثق بِخالِقه ويعتمد عليه . ويقرُّ بضعفه وجهله البشري ، كما يدرك عظمة وقدرة ربه سبحانه وتعالى ، ومن ثمار هذه العقيدة الراسخة في الجنان إشعار المرء بالأمان والطمأنينة والراحة والسكون لتنطلق النفس بثبات نحو قلاع العمل والبذل وهي تعلم علم اليقين بأن لها رباً يقدر الأسباب ويحدد النتائج وما على العبد سوى بذل الجهد واستفراغ الوسع .

خَاتِمَـــة :ـــ

يعرض الرسول ﷺ هذه القصة وهي من قصص بني اسرائيل لكي يربي أبناء هذه الأمة على حسن الثقة بالله والتوكل عليه والحرص على أموال الناس وأدائها في مواعيدها وأن من صحت نيته وصدقت عزيمته ثم عجز عن الوفاء بما عاهد عليه فإن الله يتولى عنه ذلك لعلمه بصدق يقينه وحسن سريرته .

---

(١٥) فتح الباري ـــ جـ ٤ ص ٤٧٢ .

القصة العاشرة

إنما الأعمال بالنيات

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :ـ

قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ[1] ،

فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ[2]

فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ[3]

تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ ،

قَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ[4]

لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ

فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ

فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ

تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى غَنِيٍّ

قَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ

---

(١) قال رجل لأتصدقن الليلة بصدقة = قال رجل من بني اسرائيل والله لأتصدقن الليلة بصدقة على أول من ألقاه . والصدقة = ما يُعطي على وجه القربى لله لا المكرُمة .

(٢) فوضعها في يد زانية = تصدق على امرأة ترتكب الفواحش وهو لا يعلم عنها شيئاً .

(٣) فأصبحوا يتحدثون = رأى في المنام من يقول تصدق الليلة على زانية ..

(٤) لك الحمد على زانية = على صدقة عليها حيث كان مرادا لك فإنك لا تريد إلا الجميل والخير الذي فيه المصلحة للعباد .

لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ
فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ
فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ
تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ
فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ
وَعَلَى غَنِيٍّ وَعَلَى سَارِقٍ
فَأُتِيَ(٥)
فَقِيلَ لَهُ : أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ(٦)
أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ(٧) بِهَا عَنْ زِنَاهَا
وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ(٨)
وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ»(٩) .

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

---

(٥) وفي رواية «فساءه ذلك فأتى في منامه ..» انظر نيل الأوطار جـ ٤ ص ١٥٥ .

(٦) جاءه في منامه من يخبره بقبول صدقته على الزانية والغني والسارق .

(٧) تستعف = تمتنع عن الزنا بسبب صدقتك .

(٨) ولعل الغني يعتبر = فلا يكون بخيلا شحيحاً بل يتعظ من تلك الصدقة فينفق .

(٩) يستعف بها عن سرقته = لعل السارق يمتنع عن السرقة ويترك هذا الفعل السيء ويعلم بأن الله هو الرازق فيخير ويتعود على الإنفاق .

ويستفاد من القصة :ـــ

١ ـــ «ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد فاسق»[١٠] .

٢ ـــ النية الصالحة أساس قبول الأعمال فلا عمل إلا بنية لقول الرسول ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىءٍ ما نوى»[١١] .

٣ ـــ الالتزام بالوفاء بالنذر والقسم .

٤ ـــ أن الله عز وجل يرزق عباده من حيث لا يحتسبون .

٥ ـــ حمد الله عز وجل على كل حال ولا يحمد على مكروه سواه .

٦ ـــ بركة التسليم والرضا ، وذم التضجر بالقضاء .

٧ ـــ فضل صدقة السر . كان الرجل يخرج ليلا يتخفى حتى لا يعرفه أحد ، ويخفي صدقته فيعطيها في السر ، والصدقة في السر له فضل عظيم لأن فيها حفظ ماء وجه المتصدق عليه ، ويجوز الجهر بالصدقة إذا كان القصد من الجهر لفت نظر الأغنياء والقادرين لترغيبهم في الصدقة وحضهم عليها : في مثل الكوارث وغيرها .

٨ ـــ الرؤيا الصالحة حق تدل على صلاح حال المرء ونقاء سريرته وحسن نيته .

لَطِيفَـــة :ـــ

الصدقة تشيع في المجتمع المحبة والألفة ، والتراحم والتلاحم .. كما أنها تهذّب نفس صاحبها .. وتُذهب الضيق وتجلب السرور لآخذها .. فهي منهج عظيم للتربية ، تربي المتصدق على البذل والعطاء وتنمّي فيه الشعور بمعاناة الآخرين .. وتُربي الفقراء على حب الأغنياء وتحفظهم من الانحراف بدافع الحاجة .. والصدقة فوق ذلك كله تربي الناس جميعاً على مفهوم الخلافة في الأرض وحسن التصرف في مال الله عز وجل .

---

(١٠) النووي ـــ شرح صحيح مسلم ـــ جـ ٧ ص ١١٠ .

(١١) متفق عليه .

القصة الحادية عشرة

الغلام المؤمن

عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :
كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ،
وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ
فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ ،
فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَاماً أُعَلِّمْهُ[1] السِّحْرَ .
فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَاماً يُعَلِّمُهُ
فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ[2] ،
فَقَعَدَ إِلَيْهِ
وَسَمِعَ كَلَامَهُ ، فَأَعْجَبَهُ .
فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ[3]

---

(١) أعلمه السحر = كي يكون خليفة للساحر إذا مات . وفي صحيح الترمذي «وكان للذلك الملك كاهن يكهن له فقال الكاهن أنظروا لي غلاماً فهما أو قال فطنا فاعلمه علمي هذا فإني أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم ولا يكون فيكم من يعلمه ...» .

(٢) فكان في طريقه إذا سلك راهب = فكان الغلام الذي اختاره الملك كي يتعلم على يد الساحر إذا أراد أن يذهب إلى الساحر ليتعلم منه مَرَّ في طريقه على راهب . والراهب = عابد نصراني .

(٣) فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب = فيتعلم منه ثم يذهب إلى درس الساحر .

وَقَعَدَ إِلَيْهِ ،
فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ[٤]
فَشَكَا إِلَى الرَّاهِبِ
فَقَالَ لَهُ : إِذَا خَشِيتَ[٥] السَّاحِرَ فَقُلْ : حَبَسَنِي[٦] أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ
فَقُل : حَبَسَنِي السَّاحِرُ .
فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ[٧] ،
إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍعَظِيمَةٍ[٨] ،
قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ .
فَقَالَ : اليَوْمَ أَعْلَمُ ٱلسَّاحِرُ أَفْضَلُ
أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ ؟
فَأَخَذَ حَجَراً ،
فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرُ فاقْتُلْ هٰذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ .
فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا ،
وَمَضَى النَّاسُ .

---

(٤) فإذا أتى الساحر ضربه = عقاباً له على تأخره عن موعد درسه والساحر لا يعلم أن الغلام يتعلم أيضاً من الراهب قبل أن يأتي إليه .
(٥) خشيت = خفت .
(٦) حبسني = منعني .
(٧) فبينا هو كذلك = استمر الغلام على هذه الحيلة الناجحة وأخذ يتعلم في كل يوم من الراهب ثم يذهب إلى الساحر دون أن يعاقبه .
(٨) إذ أتى على دابة عظيمة = حتى مر يوما في طريقه المعتاد إذ وجد حيواناً كبيراً قد منع الناس من المرور والسير في الطريق .

فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ[٩] ،
فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ : أَيْ بُنَيَّ[١٠] أَنْتَ اليَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّى
قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى ،
وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى[١١] !!
فَإِنْ ابْتُلِيْتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ .
وَكَانَ الغُلَامُ يُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ[١٢] ،
وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ[١٣]
فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلمَلِكِ
كَانَ قَدْ عَمِيَ
فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ ،
فَقَالَ : مَا هٰهُنَا[١٤] لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي .
فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَداً
إِنَّمَا يَشْفِي اللّٰهُ !!
فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللّٰهِ دَعَوْتُ اللّٰهَ فَشَفَاكَ .
فَآمَنَ بِاللّٰهِ
فَشَفَاهُ اللّٰهُ ،

---

(٩) فأتى الراهب فأخبره = ما وقع له من أمر الدابة التي اعترضت الطريق .
(١٠) أي بني = يا بني .
(١١) ستبتلى = سيختبرك الله ويمتحنك بالابتلاء .
(١٢) الأكمه = من ولد وهو أعمى . والأبرص = من به مرض البرص وهو داء يصيب الجلد .
(١٣) الأدواء = الأمراض والعلل .
(١٤) ما ههنا لك أجمَعُ إن أنت شفيتني = هذه الهدايا كلها جمعتها لك في مقابل أن تشفيني .

فَأَتَى المَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ[١٥]

فَقَالَ لَهُ المَلِكُ : مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ ؟

قَالَ : رَبِّي !

قَالَ : وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي ؟

قَالَ[١٦] : رَبِّي وَرَبُّكَ اللّٰهُ .

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ

حَتَّى دَلَّ عَلَى الغُلَامِ .

فَجِيءَ بِالغُلَامِ ،

فَقَالَ لَهُ المَلِكُ : أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ[١٧] ،

فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَداً !!

إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ .

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ

حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ .

فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ ،

فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ .

فَأَبَى[١٨] .

---

(١٥) فجلس إليه كما كان يجلس = فجلس عند الملك كما كان من قبل حينما كان أعمى .

(١٦) قال = الجليس .

(١٧) تبرىء الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل = كناية عن كثرة تصرفاته ومزيد أعماله .

(١٨) فأبى = رفض أن يكفر بالله .

فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ[١٩]
فَوَضَعَهُ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ
فَشَقَّهُ
حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ[٢٠] .
ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ المَلِكِ[٢١]
فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ .
فَأَبَىٰ
فَوَضَعَ المِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ
فَشَقَّهُ بِهِ
حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ .
ثُمَّ جِيءَ بِالغُلَامِ ،
فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ .
فَأَبَىٰ .
فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ[٢٢] مِنْ أَصْحَابِهِ[٢٣]
فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا
فَاصْعَدُوا بِهِ الجَبَلَ

---

(١٩) المنشار = أداة مسننة من الصُّلب يشق بها الخشب وغيره .
(٢٠) حتى وقع شقاه = فقطعه نصفين .
(٢١) جليس الملك = الذي كان أعمى .
(٢٢) نفر = جماعة من الرجال ما بين الثلاثة إلى العشرة
(٢٣) من أصحابه = من أصحاب الملك : الخدم أو من أصحاب الغلام

فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ[٢٤]
فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ
وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ[٢٥] !!
فَذَهَبُوا بِهِ ،
فَصَعَدُوا بِهِ الجَبَلَ .
فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَ شِئْتَ .
فَرَجَفَ[٢٦] بِهِمُ الجَبَلُ ،
فَسَقَطُوا .
وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى المَلِكِ .
فَقَالَ لَهُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟
قَالَ : كَفَانِيهُمُ اللَّهُ
فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ
فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ[٢٧]
فَتَوَسَّطُوا بِهِ البَحْرَ
فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ
فَذَهَبُوا بِهِ
فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَ شِئْتَ ،

---

(٢٤) ذروته = قمة الجبل ونهايته .
(٢٥) فاطرحوه = فألقوه من أعلى الجبل إذا لم يرتد عن دينه .
(٢٦)فرجف = تحرك .
(٢٧) قرقور = سفينة صغيرة .

فَانْكَفَأَت[٢٨] بِهِمْ السَّفِينَةُ
فَغَرِقُوا
وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى المَلِكِ ،
فَقَالَ لَهُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟
قَالَ : كَفَانِيهِمُ اللّهُ .
فَقَالَ لِلمَلِكِ : إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ ،
قَالَ[٢٩] : وَمَا هُوَ ؟
قَالَ[٣٠] : تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ[٣١] وَاحِدٍ
وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذعٍ
ثُمَّ خُذْ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِي[٣٢] وَضَعْهُ فِي كَبِدِ[٣٣] الْقَوْسِ
ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللّهِ رَبِّ الغُلَامِ
ثُمَّ ارْمِنِي
فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذٰلِكَ قَتَلْتَنِي ،
فَفَعَلَ الْمَلِكُ كَمَا قَالَ لَهُ
ثُمَّ قَالَ : بِاسْمِ اللّهِ رَبِّ الغُلَامِ
ثُمَّ رَمَاهُ

---

(٢٨) فانكفأت = فانقلبت .
(٢٩) قال = الملك .
(٣٠) قال = الغلام .
(٣١) صعيد = أرض بارزة .
(٣٢) كنانتي = الموضع الذي يوضع فيه السهام .
(٣٣) كبد القوس = وسط الوتر .

فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ[٣٤]
فَوَضَعَ يَدَهُ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ
فَمَاتَ[٣٥] ،
فَقَالَ النَّاسُ : آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ
آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ
آمَنَّا بِرَبِّ الغُلَامِ
فَقِيلَ لِلمَلِكِ : قَدْ وَقَعَ بِكَ وَاللّٰهِ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ
قَدْ آمَنَ النَّاسُ ،
فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ[٣٦] فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ[٣٧] فَخُدَتْ[٣٨] وَأُضْرَمَ[٣٩] النِّيرَانَ
وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا
أَوْ قِيلَ لَهُ إِقْتَحِمْ
فَفَعَلُوا ،
حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا
فَتَقَاعَسَتْ[٤٠] أَنْ تَقَعَ فِيهَا

---

(٣٤) الصُدغ : ما بين العين والأذن .

(٣٥) وفي صحيح الترمذي أن الغلام دفن وأخرج في زمن عمر وأصبعُه كما وضعها حين قتل . واستدل ابن العربي من ذلك على أن الأرض لا تغير أجساد الصالحين .

(٣٦) بالأخدود = الشق العظيم في الأرض .

(٣٧) أفواه السكك = أبواب الطرق .

(٣٨) فخدت = شقت وحُفرت .

(٣٩) أضرم = أشعل .

(٤٠) فتقاعست = تردّدت .

فَقَالَ لَهَا الغُلَامُ : يَا أُمَّاهُ اصْبِرِي
فَإِنَّكِ عَلَى الحَقِّ»[41] .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ

(٤١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٨ ص ١٣٠ ، صحيح الترمذي بشرح ابن العربي جـ ١٢ ص ٢٣٩ ، الفتح الرباني جـ ٢٠ ص ١٤٧ ، التاج الجامع جـ ٤ ص ٢٨٥ . صحيح الجامع الصغير وزيادته رقم الحديث ٤٤٦١ ، تفسير ابن كثير سورة البروج .

ويستفاد من القصة :ـــ

١ ـــ إثبات كرامة الأولياء .
٢ ـــ الشباب أساس الدعوات ومنبع الاصلاح والتغيير .
٣ ـــ التضحية أعلى مراتب الاخلاص للعقيدة .
٤ ـــ جواز الكذب في الحرب وإنقاذ النفس من الهلاك .
٥ ـــ العقيدة الحقة تصنع الأعاجيب .
٦ ـــ لا يفلح الساحر حيث أتى .
٧ ـــ لا يتورع الطغاة من التنكيل بالمؤمنين بأبشع الطرق وأفظع الوسائل .. في كل زمان ومكان .
٨ ـــ الحياة دار ابتلاء يبرز في ميدانه أهل الإيمان ويكتب لهم الخلود .
٩ ـــ المعلم الناجح هو الذي يصنع رجال المجتمع .
١٠ ـــ المؤمن لا ينسى أن يدعو إلى التوحيد في أي مكان كان فيه وفي أي عمل يؤديه ، ويحتال للوصول إلى ذلك بكل ما يستطيع .
١١ ـــ الثبات على الحق علامة صدق الإيمان .
١٢ ـــ «بيان شرف الصبر وفضل الثبات على الدين»[٤٢] .

لَطِيفَـــة :ـــ

شجرة الدعوة إلى الله عز وجل تنمو بالتضحية والفداء ، ولن تستطيع شلالات الدماء أو أعواد المشانق أو بطش الزبانية أن تقف في وجه أصحاب العقيدة الحقة . وما أصدق قول الشاعر :

تَاللـــهِ مَا الطغيـــانُ يَهْـــزِمُ دَعْـــوَةً ... يَوْمـــاً وَفِـــي التَارِيـــخِ بَرُّ يَمِينـــي
ضَعْ فِي يَدَيَّ القَيْـــدَ ، أَلْـــهِبْ أَضْلُعِـــي ... بِالسَّوْطِ ، ضَعْ عُنُقِـــي عَلَـــى السِكِّين

(٤٢) دليل الصالحين جـ ١ ص ١٦٣ باختصار .

لَنْ تَسْتَطِيعَ حِصَارَ فِكْرِيَ سَاعَةً ... أَوْ نَزْعَ إِيمَانِي وَنُورَ يَقِينِي

فَالنُّورُ فِي قَلْبِي وَقَلْبِي فِي يَدَيْ رَبِّي ... وَرَبِّي نَاصِرِي وَمُعِينِي

سَأَظَلُّ مُعْتَصِماً بِحَبْلِ عَقِيدَتِي ... وَأَمُوتُ مبتَسِماً لِيَحْيَا دِينِي

«إذن فكل داعية لابد أن يناله أذى ولكن عليه أن يصبر ولهذا لما قال الله تعالى لرسوله ﷺ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا﴾[٤٣].

كان من المتوقع أن يقول الله فاشكر نعمة الله على تنزيل القرآن ، ولكن الله قال له : ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾[٤٤] إشارة إلى أن كل من قام بهذا القرآن فلابد أن يناله ما يناله من الأمور التي تحتاج إلى صبر عظيم ، فعلى الداعية أن يكون صبوراً وأن يستمر حتى يفتح الله له ، وليس من الضروري أن يفتح الله له في حياته بل إن المهم أن تبقى دعوته بين الناس ناصعة متبوعة ، ليس المهم الشخص ولكن المهم الدعوة فإذا بقيت دعوته ولو بعد موته فإنه حي قال الله عز وجل : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[٤٥]

ففي الحقيقة أن حياة الداعية ليس معناها أن تبقى روحه في جسده فقط بل أن تبقى مقالته حية بين الناس ، إذن على الداعية أن يصبر وستكون العاقبة له إذا كان صادقاً مع الله سواء في حياته أو بعد مماته»[٤٦].

خاتمة :ـ

على الإيمان تُربى الأجيال ويصقل الرجال ، والعيش في رحاب الإيمان والانتساب إليه والتشرف بحمل لوائه يجب أن يقترن بالبذل والفداء والصبر على البلاء . وقافلة المؤمنين تسير وسفينة الحق تمضي في كل حين وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وليس لبشر أو طاغوت أن يعترض طريقها أو أن يُوقف مسيرتها لأنها تتلقى العون من الواحد القهار العزيز الجبار .. إنها تسير بتيسير الله وتقديره .

---

(٤٣) سورة الانسان : الآية ٢٣ .

(٤٤) سورة الانسان : الآية ٢٤ .

(٤٥) سورة الأنعام : الآية ١٢٢ .

(٤٦) محمد بن صالح العثيمين ـ زاد الداعية إلى الله عز وجل ـ من ص ١٧ إلى ص ١٩ باختصار .

وهكذا يعرض الرسول ﷺ قصص الابتلاء في الإيمان ليبين لنا نفاسة هذا الإيمان وصدقه ، وأن الابتلاء سنة من سنن الله الكونية يُمحص بها الإيمان ويقوي بها الدعوة ، وأن المؤمن حين تخالط بشاشة الإيمان قلبه يجب أن يضحي في سبيله بكل ما يملك من مالٍ وجاه وسلطان ونفس ، فإن الجود بالنفس أعلى مراتب الجود ، وهكذا فعل الغلام المؤمن فاحتال حتى يوصل الإيمان إلى الناس فقدم نفسه فداءً له .

القصة الثانية عشرة

أغلى بطاقة

عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ عَمْرو رَضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :ـــ
إنَّ اللهَ سَيُخلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءوسِ الخلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ[1] ،
فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا[2]
كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ
ثُمَّ يَقُولُ أَتُنْكِرُ مِنْ هٰذَا شَيْئاً ؟
أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ ؟
فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ،
فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟
فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ .
فَيَقُولُ : بَلَى إنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ،
فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ

---

(١) سيوقفه الله على رؤوس الأشهاد .
(٢) تنشر عليه = تعرض عليه صحائف كثيرة واسعة مملوءة بالسيئات . والسجل هو الكتاب الكبير .

فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،

فَيَقُولُ : احْضُرْ وَزْنَكَ ،

فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هٰذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هٰذِهِ السِّجِلَّاتِ ؟

فَقَالَ : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ .

قَالَ : فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ

وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ ،

فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ[٣]

فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ» .

رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ[٤]

---

(٣) طاشت : أي رفعت . خفت وذهبت سجلات السيئات وثقلت البطاقة بكلمة التوحيد .

(٤) بسند حسن في كتاب الإيمان .

ويستفاد من القصة :ـــ

١ ـــ «يحاسب الله عز وجل الخلائق ، ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه»[٥] .
٢ ـــ تنصب الموازين يوم القيامة فتوزن فيها أعمال العباد .
٣ ـــ «للميزان كفتان حسيتان مشاهدتان»[٦] .
٤ ـــ جميع الخلائق سترى عدل الله سبحانه وتعالى يوم الحشر .
٥ ـــ سعة أرض المحشر .
٦ ـــ لا يثقل مع اسم الله عز وجل شيء .
٧ ـــ رحمة الله أكبر مما يدركه عقل الانسان أو يتصوره .

تَنْبِيـــــه :ـــ

كان الرجل صاحب أغلى بطاقة «شخص مشرك قضى حياته في الفساد ، ثم آمن قبل أن يحين أجله بقليل فلم يستطع بعد إسلامه أن يبقى مدة يصلح فيها ما مضى ، والحديث بهذا ينوه بما لخاتمة الإيمان من قيمة ، وما لتوحيد الله من منزلة»[٧] .

اللَطِيفَـــة الأولى :ـــ

إن كل عمل أو قول يصدر منا يُسجل ثُم يحفظ ثم يعرض ليكون حجة لنا أو علينا بين يدي الله عز وجل ، وعندما نعلم هذه الحقيقة الهائلة ونفهم هذا المفهوم العظيم ونستحضره في أذهاننا وقلوبنا في كل حين حينئذ ستصبح لكل حركة وكلمة حساب وأي حساب !! إنها الآثار التي لا تمحى ولا تنسى !!

---

(٥) مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جـ ٣ ص ١٤٦ .
(٦) أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم الحديث ١٣٥ ص ٢١٣ .
(٧) محمد الغزالي ـــ عقيدة المسلم ـــ ص ١٤١ ، ص ١٤٢ .

وعندما استشعر سلفنا الصالح هذه المعاني الرفيعة النبيلة وزنوا بها حركاتهم وسكناتهم كلها قبل أن تصدر منهم فتكون حجة عليهم .

«ذكر عن الامام أحمد أنه كان يئن في مرضه ، فبلغه عن طاووس أنه قال يكتب الملك كل شيء حتى الأنين ، فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله»[٨] .

اللَطِيفَــة الثانيــة :ـــ

سئل الإمام علي رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين كيف يحاسب الله الناس كلهم في وقت واحد ؟ فقال : كما يرزقهم في آن واحد ، يسألهم في آن واحد[٩] !!

خَاتِمَــــة :ـــ

في هذه القصة يصور لنا الرسول الكريم ﷺ مشهداً من مشاهد الآخرة حيث تُوضع الموازين وتُجمع الخلائق لتُحاسب وفق العدل الالهي ..

وفي هذا اليوم المشهود تظهر كل الأسرار التي كانت إلى الأمس في طي الكتمان وظلمة النسيان .

وإن أغلى وأثقل البطاقات المسجلة ما كان فيها «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» فعلى المسلم أن يكثر من ذكر الله عز وجل فهي عدة الغد وأمل العبد .

---

(٨) ابن كثير ـــ تفسير القرآن العظيم ـــ جـ ٤ ص ٣٦٣ . مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية جـ ١ ص ٦ .

(٩) سيد سابق ـــ العقائد الإسلامية ـــ ص ٢٧٦ .

القصة الثالثة عشرة

رحلة إلى السموات

عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ :
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :
«بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ[1] مُضْطَجِعاً[2] ،
إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ مَا بَيْنَ هٰذِهِ إِلَى هٰذِهِ[3] ،
فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ،
ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ[4] مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةً إِيمَاناً[5]
فَغُسِلَ قَلْبِي بِمَاءِ زَمْزَمَ
ثُمَّ حُشِيَ ، ثُمَّ أُعِيدَ ،
ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ ، وَفَوقَ الحِمَارِ أبيضَ ،

---

(١) في الحطيم = عند الكعبة .

(٢) وفي رواية للبخاري «بين النائم واليقظان» .

(٣) شق الملك صدر النبي ﷺ من نحره إلى مراق بطنه . وشق الصدر عند العروج إلى السماء ليتأهب للمناجاة ويستعد بقلب قوي لمشاهدة الملكوت .. قال العسقلاني : وجميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة مما يجب التسليم له دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك .

(٤) الطست = آنية للغسل .

(٥) وفي رواية «وحكمة» .

يُقَالُ لَهُ البُراقُ ،
يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ[٦] [٧] ،
فَحُمِلْتُ عَلَيهِ ،
فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ
حَتَّى أَتى السَّمَاءَ الدُّنْيَا ،
فَاسْتَفْتَحَ[٨] ،
قِيلَ : مَنْ هٰذَا ؟
قَالَ : جِبْرِيلُ ،
قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟
قَالَ : مُحَمَّدٌ ،
قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟
قَالَ : نَعَمْ ،
قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ ،
فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ ،
فَفُتِحَ ،
فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ ،
فَقَالَ : هٰذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ،

---

(٦) في غاية السرعة إذ أنه يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره .

(٧) وفي رواية مسلم «قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين» .

(٨) طلب جبريل من الملائكة الموكلين بالدخول أن يسمحوا له بالدخول ومعه الرسول ﷺ . فاستفتح = استأذن .

فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ ،
فَرَدَّ السَّلامَ ،
ثُمَّ قَالَ : مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، والابْنِ الصَّالِحِ .
ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ ،
فاسْتَفْتَحَ ،
فَقِيلَ : مَنْ هٰذَا ؟
قَالَ : جِبْرِيلُ ،
قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟
قَالَ : مُحَمَّدٌ ،
قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟
قَالَ : نَعَمْ ،
قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ ،
فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ ،
فَفُتِحَ ،
فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا بِيَحْيَى وَعِيسَى ،
وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ ،
قَالَ : هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى ، فَسَلِّم عَلَيْهِمَا ،
فَسَلَّمْتُ
فَرَدَّا ،

ثُمَّ قَالَا : مَرْحَباً بِالْأَخِ الصَّالِحِ ، والنَّبِيِّ الصَّالِحِ .
ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ،
فاسْتَفْتَحَ ،
قِيلَ : مَنْ هٰذَا ؟
قَالَ : جِبْرِيلُ ،
قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟
قَالَ : مُحَمَّدٌ ،
قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟
قَالَ : نَعَمْ ،
قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ ،
فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ ،
فَفُتِحَ ،
فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ ،
قَالَ : هَذَا يُوسُفُ ،
فَسَلِمْ عَلَيْهِ ،
فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ ،
فَرَدَّ ،

ثُمَّ قَالَ : مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ ، والنَّبِيِّ الصَّالِحِ[٩] .

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ ،

فاسْتَفْتَحَ ،

قِيلَ : مَنْ هٰذَا ؟

قَالَ : جِبْرِيلُ ،

قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟

قَالَ : مُحَمَّدٌ ،

قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟

قَالَ : نَعَمْ ،

قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ ،

فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ ،

فَفُتِحَ ،

فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا إِدْرِيسُ ،

قَالَ : هَذَا إِدْرِيسُ ، فَسَلِّم عَلَيْهِ ،

فَسَلَّمْتُ

فَرَدَّ ،

ثُمَّ قَالَ : مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ ، والنَّبِيِّ الصَّالِحِ .

---

(٩) قيل اقتصر الأنبياء على وصفه بهذه الصفة وتواردوا عليها لأن الصلاح صفة تشمل خلال الخير كلها ، ولذلك كررها كل منهم عند كل صفة ، والصالح هو الذي يقوم بما يلزمه من حقوق الله وحقوق العباد ، فمن ثم كانت كلمة جامعة لمعاني الخير . فتح الباري جـ ٧ ص ٢١٠ . والصالح أي الحقيق بحمل رسالة السماء الخاتمة والذي سوف يقوم بها على الوجه الأكمل مادامت السماوات والأرض فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها .

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الخَامِسَةِ ،
فاسْتَفْتَحَ ،
قِيلَ : مَنْ هٰذَا ؟
قَالَ : جِبْرِيلُ ،
قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟
قَالَ : مُحَمَّدٌ ،
قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟
قَالَ : نَعَمْ ،
قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ ،
فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ ،
فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا هَارُونُ ،
قَالَ : هَذَا هَارُونُ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ،
فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ ،
فَرَدَّ ،
ثُمَّ قَالَ : مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ ، والنَّبِيِّ الصَّالِحِ
ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءَ السَّادِسَةِ ،
فاسْتَفْتَحَ ،
قِيلَ : مَنْ هٰذَا ؟
قَالَ : جِبْرِيلُ ،

قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟

قَالَ : مُحَمَّدٌ ،

قِيلَ : وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ؟

قَالَ : نَعَمْ ،

قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ ،

فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ ،

فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَىٰ ،

قَالَ : هَذَا مُوسَىٰ ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ،

فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ ،

فَرَدَّ ،

ثُمَّ قَالَ : مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ ، والنَّبِيِّ الصَّالِحِ ،

فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَىٰ[١٠] ،

قِيلَ لَهُ : مَا يُبْكِيكَ ؟

قَالَ : أَبْكِي لِأَنَّ غُلَاماً بُعِثَ بَعْدِي

يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي .

---

(١٠) قال العلماء : لم يكن بكاء موسى حسداً ـــ معاذ الله ـــ فإن الحسد في ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين فكيف بمن اصطفاه الله تعالى ، بل كان أسفا على ما فاته من الأجر الذي يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم لتنقيص أجره ، لأن لكل نبي مثل أجر كل من اتبعه ، ولهذا كان من اتبعه من أمته في العدد دون من اتبع نبينا ﷺ مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة . وأما قوله «غلام» فليس على سبيل النقص والحط من مكانة الرسول ﷺ بل المراد أنه صغير السن بالنسبة إليه وقد أنعم الله عليه بما لم ينعم به عليه مع طول عمره . وقيل : أن العرب تسمي الرجل المستجمع السن غلاماً مادامت فيه بقية من القوة . راجع فتح الباري جـ ٧ ص ٢١١ الفتح الرباني جـ ٢٠ ص ٢٤٦ التاج الجامع جـ ٣ ص ٢٥٩ .

ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ،
فاسْتَفْتَحَ ،
قِيلَ : مَنْ هٰذَا ؟
قَالَ : جِبْرِيلُ ،
قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟
قَالَ : مُحَمَّدٌ ،
قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟
قَالَ : نَعَمْ ،
قِيلَ : مَرْحَباً بِهِ ،
فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ ،
فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا إِبْرَاهِيمُ ،
قَالَ : هَذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ،
فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ ،
فَرَدَّ السَّلَامَ ،
فَقَالَ : مَرْحَباً بِالابْنِ الصَّالِحِ ، والنَّبِيِّ الصَّالِحِ[11] .
ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدرةُ المُنْتَهَى[12] ،
فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ[13] ،

---

(١١) وفي قول آدم «بالابن الصالح» إشارة إلى افتخاره بأبوة النبي ﷺ .

(١٢) قال ابن عباس والمفسرون وغيرهم سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ ، وحكي عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنها سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله .

(١٣) نبقها : ثمرها وثمرة السدرة تسمى نبقا . والقلة = جرة عظيمة تسع قربتين أو أكثر . وهجر = بلد معروف في اليمن .

وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلَ آذَانِ الفِيَلَةِ ،
قَالَ : هٰذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهىٰ ،
وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ ،
نَهْرَانِ بَاطِنَانِ ،
وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ ،
قُلْتُ : مَا هٰذَانِ يَا جِبْرِيلُ ؟
قَالَ : أَمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ ،
وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ .
ثُمَّ رُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ ،
فَقُلْتُ : يَا جِبْرِيلُ !
مَا هٰذَا ؟
قَالَ : هٰذَا البَيْتُ المَعْمُورُ ،
يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ،
إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ[١٤] ،
ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ ،
وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ ،
فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ ،

---

(١٤) وفي رواية للطبري «البيت المعمور مسجد في السماء بحذاء الكعبة لو خر خر عليها يدخله سبعون ألف ملك كل يوم إذا خرجوا منه لم يعودوا إليه» .

فَقَالَ هِيَ الفِطْرَةُ التي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ[١٥] .
ثُمَّ فُرِضَ عَلَيَّ خَمْسُونَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ ،
فَرَجَعْتُ ،
فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَىٰ ،
فَقَالَ : بِمَ أُمِرْتَ ؟
قُلْتُ : أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ ،
قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ ،
وَإِنِّي وَاللّٰهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ،
وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ
فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ التَّخفِيفَ لِأُمَّتِكَ ،
فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً ،
فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَىٰ ،
فَقَالَ مِثْلَهُ ،
فَرَجَعْتُ ،
فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً ،
فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَىٰ ،
فَقَالَ مِثْلَهُ ،
فَرَجَعْتُ ،

---

(١٥) أي دين الإسلام . قال القرطبي يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة لأنه أول شيء يدخل بطن المولود ويشق أمعاءه ، والسر في ميل الرسول ﷺ إليه دون غيره لكونه كان مألوفاً له ، ولأنه لا ينشأ عن جنسه مفسدة . فتح الباري جـ ٧ ص ٢١٥ .

فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً ،
فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَىٰ ،
فَقَالَ مِثْلَهُ ،
فَرَجَعْتُ ،
فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً ،
فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ،
فَقَالَ مِثْلَهُ ،
فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ،
فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَىٰ ،
فَقَالَ : بِمَ أُمِرْتَ ؟
قُلْتُ :أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ،
قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ،
وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ،
وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ
فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلْهُ التَّخفِيفَ لِأُمَّتِكَ ،
قُلْتُ : سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ ،
وَلٰكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ ،
فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَانِي مُنَادٍ ، أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي ،
وَخَفَفْتُ عَنْ عِبَادِي»[16] .

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

(١٦) صحيح الجامع الصغير رقم الحديث ٢٨٦٦ فتح الباري جـ ٧ ص ٢٠١ جـ٣ ص٣٠٨ صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ٢٠٩ الفتح الرباني جـ ٢٠ ص ٢٤٤ التاج الجامع للأصول جـ ٣ ص ٢٥٧ .

ويستفاد من القصة :ـــ

١ ـــ للسماء أبواباً حقيقية وحفظة موكلين بها .
٢ ـــ إثبات الاستئذان ، وأنه ينبغي لمن يستأذن أن يقول أنا فلان فيذكر اسمه حينما يقال له من الطارق أو من بالباب ..
٣ ـــ أجرى الله عز وجل لمحمد ﷺ معجزات حسية في الاسراء والمعراج .
٤ ـــ المار يسلم على القاعد وإن كان المار أفضل من القاعد .
٥ ـــ استحباب تلقي أهل الفضل بالبشر والترحيب والثناء والدعاء .
٦ ـــ جواز مدح الانسان المأمون عليه الافتتان في وجهه .
٧ ـــ فضل السير بالليل على السير بالنهار لما وقع من الاسراء بالليل وكان أكثر سفره ﷺ بالليل . قال ﷺ «عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل»[١٧] .
٨ ـــ الاسلام دين الفطرة .
٩ ـــ فضل ماء زمزم على جميع المياه .
١٠ ـــ إن الله جعل من الرحمة في قلوب الأنبياء أعظم مما جعل في قلوب غيرهم .
١١ ـــ كثرة الملائكة صلوات الله وسلامه عليهم .
١٢ ـــ فرضت الصلاة دون سائر الفرائض في ليلة الاسراء وفي الملأ الأعلى ودون واسطة إشارة إلى عظم شأن المبعوث بها وعظم شأنها .
١٣ ـــ ضرب الأمثلة التوضيحية المستمدة من واقع البيئة لتقريب المفاهيم التي يصعب إدراكها .. كقوله ﷺ «نبقها كقلال هجر ..» .
١٤ ـــ استحباب الإكثار من سؤال الله تعالى والإكثار من الشفاعة عنده .
١٥ ـــ فضيلة الحياء عامة ، ومن الله خاصة .
١٦ ـــ بذل النصيحة لمن يحتاج إليها وإن لم يستشر الناصح في ذلك . كما وقع للرسول ﷺ حينما أشار عليه موسى عليه السلام في شأن الصلاة .

---

(١٧) رواه أحمد .

تَنْبِيـــــه :ـــ

قال القاضي عياض رحمه الله «اختلف الناس في الاسراء برسول الله ﷺ فقيل إنما كان جميع ذلك في المنام .

والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أسرى بجسده ﷺ والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها»[18] .

لَطِيفَـــة :ـــ

قال ابن أبي حمزة : «الحكمة في شق قلب النبي ﷺ مع القدرة على أن يمتلىء قلبه إيماناً وحكمة بغير شق ، الزيادة في قوة اليقين ، لأنه أعطى برؤية شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية ، فلذلك كان أشجع الناس وأعلاهم حالًا ومقالًا»[19] .

خَـاتِمَـــة :ـــ

أعد الله سبحانه وتعالى لنبيه رحلة عظيمة رأى فيها الرسول ﷺ عالم الملائكة .. ومجتمع الأنبياء وملكوت السموات .. كانت رحلة تكريم وتعليم ..

أكرم الله بها عبده محمداً ﷺ حينما اصطفاه للصعود ليريه الآيات الكبرى ..

أكرمه حينما أصبح إماماً للأنبياء ..

أكرمه بأن شرع له الصلاة فكانت قرة عينه[20] ..

وتعلم من تلك الرحلة أسرار السماء .. واستفاد من خبرة الأنبياء في الدعوة إلى الله عز وجل ومعرفة

---

(١٨) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ٢٠٩ .

(١٩) فتح الباري جـ ٧ ص ٢٠٦ .

(٢٠) «كان نبينا محمد ﷺ يستبطىء الصلاة وقد جاء وقتها من شدة شوقه إليها فيقول : (أرحنا بها يا بلال) ولا أفصح ولا أدق في تصوير نفسيته ﷺ وأشواق روحه العالية من قوله : (أرحنا بها» فهذا كمال الاتصال بينه وبين خالقه» وحي القلم جـ ٢ ص ١٤ وخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام كان يرى الصلاة معراجه الذي يناجي فيه ربه ، والساعة التي تصل الملأ الأعلى بأهل الأرض من أجل ذلك كانت الصلاة لذته الروحية» فنّ الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء ص ١٣٨ .

أحوال الناس ..
حقاً لقد كانت رحلة تكريم وتعليم ..

تعليـــق :ـــ

تحت عنوان «فوق الآدمية الاسراء والمعراج» يتساءل الأستاذ مصطفى صادق الرافعي :
«كيف يستوطن المسلمون العجز وفي أول دينهم تسخير للطبيعة ؟
كيف يستمهدون الراحة وفي صدر تاريخهم عمل المعجزة الكبرى ؟
كيف يركنون إلى الجهل ، وأول أمرهم آخر غايات العلم ؟
كيف لا يحملون النور للعالم ونبيهم هو الكائن النوراني الأعظم ؟»[٢١]

(٢١) وحي القلم جـ ٢ ص ٣١ .

مِنَ ثمرات القصص النبوي

القصة وسيلة راقية من وسائل التربية الإسلامية ينتفع بها أصحاب الأفئدة العاقلة كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ الذين يعتبرون ويتدبرون ويتعظون .. نظرات العقول هي الميزان في التعامل مع النوائب والأحداث لما وقع أو سيقع ، ومن يتبع الشبهة أو الشهوة يُحجب عن الخير ويَضل عن الصراط ويُحرم من نور الحق .

والعاقل حقاً هو الذي يدرك ما ينفعه في دنياه وأخراه ويعلم ما يُصلح شأنه كله ، دِقه وجله ، وما سواه جاهل وإن نال أعلى المراتب أو شغل أرفع المناصب فهو خلف سراب زائل وتحت جدار مائل مهما لمع نجمه وذاع صيته .

إن هدف التربية الإسلامية ورسالتها الكبرى إعداد الفرد المسلم الذي ينفع نفسه وأمته ويقوم بحق الخلافة في الأرض خير قيام مسترشداً بكتاب الله وسنة رسوله .

والرسول ﷺ لم يترك لأمته دِرهماً ولا ديناراً ولكنه خلّف ميراث الأنبياء ، العلم . وما قرأناه من قصص نبوية بما فيها من فوائد وفرائد تعتبر بحق مناراً للسالكين ومشعلًا للسائرين على طريق الحق والصدق ، والخير والنور ، هذه الحكم وتلك الأمثال التي بلغت درجة الكمال في الجلال والجمال وحازت على أعلى طبقات وضروب الفصاحة والبلاغة جديرة بأن تستولي على الألباب وتنتزع منها الانبهار والإعجاب لأنها عالجت قضايا متشعبة متنوعة في قالب قصص قصيرة موجزة المبنى عظيمة المعنى في علوم شتى ، في العقيدة والأخلاق ، والنفس والاجتماع ، والتربية والسيرة ، والتاريخ واللغة ..

ولا يليق بأصحاب النُهى أن يمروا على هذا الميراث العظيم والبحر الزاخر مرور الكرام نصيبهم منه قراءة عابرة سريعة .. ولقد رأيت في ختام الجزء الأول من هذه السلسلة التربوية في القصص النبوي أن أتقدم ببعض المقترحات الهادفة التي من شأنها أن تفتح آفاقاً جديدة لكيفية استثمار ما سبق الإطلاع عليه من القصص النبوي ولتوظيف تلك القراءات من ذلك العلم بما يفيد وينفع .

أولًا : أن نجتهد في حفظ بعض القصص القصيرة مما سبق إيراده واستظهار كلماتها الرئيسية لزيادة ثقافتنا الإسلامية وحصيلتنا الأدبية .

ثانياً : الاستمرار في الإطلاع على كتب الحديث ودراسة السنة النبوية الشريفة مع ضرورة اقتناء كتاب الأربعين النووية وكتاب رياض الصالحين للإمام النووي .

ثالثاً : اختيار الوقت المناسب لسرد هذه القصص وشرحها بين الأقرباء والأصدقاء .. فعلى كل مسلم أن يُبلغ ما يعلم ولو كان هذا العلم قليلًا يسيراً .

رابعاً : أن تجتمع الأسرة من حين لآخر فتختار قصة تكون محور سمرهم ودرسهم يقرأونها ثم يختبرون أنفسهم بها من حيث المفردات اللغوية أو الفوائد واللطائف .. وعلى الأب أو الأم وأحياناً أحد الأبناء أن يديروا مثل هذه الجلسات الطيبة المباركة التي تشهدها الملائكة وتتنزل فيها الرحمة .. وعلى مثل هذا تُبنى الأسر المتماسكة المترابطة ، كيف لا وطاعة الله تجمعها وكلام رسوله ﷺ يشغلها وما كان لله دام واتصل !

خامساً : أن تُبسط الأم هذه القصص فتسردها بشكل يناسب الأطفال الصغار عند نومهم ولا بأس في إعادة القصة بين حين لآخر . ومن المفاهيم التربوية الهامة في هذا المجال أن الطفل يهوى سماع القصة ويحب روايتها وإعادتها دون سأم أو ملل ، ولا شك أن هذا المفهوم ، بخلاف ما قد يُتصور للوهلة الأولى من أن انتباه الطفل وتركيزه واهتمامه لسماع القصة للمرة الثانية أو الثالثة .. سوف يكون ضعيفاً . إن إعادة رواية القصة تعطي الطفل الثقة بنفسه والاعتزاز بثقافته لأنه سوف يشارك في رواية القصة كما أنه يَسعد ويَفرح لمعرفة تفاصيل جديدة في القصة ومناقشتها والتفاعل معها في خياله الحي وتصويره الثري .

سادساً : أن يستغل المعلم والأب والداعية هذا القصص كمقدمات استهلالية في بداية حديثهم ومواعظهم لجذب القلوب ومن ثم العقول .

سابعاً : تلخيص هذا القصص في أوراق صغيرة ليسهل مراجعتها وبحيث تصبح مادة علمية ترويحية جاهزة للعرض والإلقاء في كل وقت .

ثامناً : تسجيل وتمثيل هذا القصص على نطاق الأسرة والمدرسة والأصدقاء وفق الضوابط الشرعية . وفي نهاية كل قصة يدور الحوار فيذكر أحدهم بعض الفوائد .. وقد يتدخل آخر فيوضح تنبيه هام .. وآخر يتحدث عن لطيفة تم استنباطها من القصة .. وتجسيد هذه الموضوعات والعناوين في قالب تلك الشخصيات وإدارة حوار علمي هادف على هذا النحو من أعظم الوسائل التربوية وأنجحها على الإطلاق لأنها ثمرة لخبرة حية تستقطب انتباه الجميع وتضمن مشاركتهم مشاركة فعّالة .

تاسعاً : تحليل الفوائد الواردة بعد كل قصة .. كيف تم التوصل لها والتعرف عليها من سياق القصة ؟ إذ أن كل فائدة قد أُخذت واستُخرجت من وقائع القصة وأحداثها . مثلا أول فائدة كانت في نهاية القصة الأخيرة من هذا الكتاب «للسماء أبواباً حقيقية وحفظة موكلين بها» من أين عرفنا ذلك ؟ عرفنا ذلك من استئذان جبريل قبل دخوله كل سماء مما يدل على وجود أبواب حقيقية وحراس ..

وعرفنا أن عدد عالم الملائكة كبير جداً وذلك أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه .. وهكذا ..

وهذه الطريقة فيها من المتعة العقلية والرياضة الذهنية ما تجعل القارىء يعيد قراءة القصة مرة بعد أخرى ليتوصل إلى أصل كل فائدة وإضافة فوائد وشواهد جديدة .. وترتيب بعض الفوائد المذكورة حسب سياق القصة . والقصص القرآني والنبوي على الخصوص تجد في إعادة قراءته لذة ومتعة تفوق الوصف ففيها راحة للنفس وقرة للعين ، إلى جانب هذا الأنس السامي الرفيع ترى المعاني المتجددة تحيط بالطالب المريد فتنثال على الفكر خواطر وشوارد ثاقبة تبعث الفكر على التأمل والنظر وهذا شأن القرآن الكريم والسنة النبوية وذلك في حد ذاته دليل إعجاز وتفرد ينطق ويشهد بعظمة هذا الدين .

وبإخلاص النية وصدق العزيمة تصبح هذه المقترحات وتلك التوصيات وقائع يومية ومشاهد ملموسة محسوسة .. ولن يخيب من طرق أبواب الحديث النبوي الشريف .. إنه المعين الذي لا ينضب والخير الذي لا يُحد والبحر الذي لا ينفد .. إنه السراج المنير والأمل المتجدد من طلبه بحقه وسعى إليه نال منه وأخذ عنه بحظ وافر ، ومن تركه وأعرض ونأى بجانبه فقد ظلم نفسه وفرط فيما ينفعه في دنياه وآخرته وهو من الخاسرين .

اللهم إنا نعوذ بك من قلب لايخشع ، ومن دعاء لايُسمع ومن نفس لاتشبع ، ومن علم لاينفع .

وفي الختام أستودعكم الله الذي لاتضيع ودائعه على أمل اللقاء بكم في الجزء الثاني من هذه السلسلة التربوية إن شاء الله تعالى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

المـــراجـــع

القرآن الكريم

١ ــ الأذكار ــ النووي ــ دار احياء التراث العربي ــ بيروت ١٩٧١م .

٢ ــ اسلامنا ــ سيد سابق ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت .

٣ ــ البيان والتبيين ــ الجاحظ ــ حققه وقدم له المحامي فوزي عطوي ــ دار صعب ــ بيروت .

٤ ــ التاج الجامع للأصول ــ منصور علي ناصف ــ ط٤ دار احياء التراث العربي بيروت ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م .

٥ ــ تفسير سورة النور ــ أبو الأعلى المودودي ــ دار ابن قتيبة ، الكويت .

٦ ــ تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير ــ ط١ دار احياء التراث العربي بيروت ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م .

٧ ــ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ــ محمدبن علان الصديقي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت .

٨ ــ الدين وتاريخ الحرمين ــ عباس كراره ــ دار مصر للطباعة .

٩ ــ ديوان حسان بن ثابت ــ دار صادر بيروت .

١٠ ــ زاد الداعية إلى الله عزوجل ــ محمد بن صالح العثيمين . الرسالة الأولى من سلسلة العقد الثمين ــ ط٣ الرياض ١٤٠٩هـ .

١١ ــ زاد المعاد ــ ابن قيم الجوزية ــ حقق نصوصه وخرج أحاديثه ، وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ، عبدالقادر الأرنؤوط ــ ط١٦ مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

١٢ ــ زبدة التفسير من فتح القدير ــ محمد سليمان الأشقر ــ ط١ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية ــ الكويت ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م .

١٣ ــ الزهد ــ للامام أحمد بن حنبل الشيباني ط١ دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .

١٤ ــ سلسلة الأحاديث الصحيحة ــ محمد ناصر الدين الألباني ــ ط٤ المكتب الاسلامي ، دمشق ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

١٥ ــ سنن ابن ماجه ــ حقق نصوصه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبدالباقي ــ المكتبة العلمية ــ بيروت .

١٦ ــ سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي ــ الدار المصرية اللبنانية ــ القاهرة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

١٧ ــ شرح العقيدة الطحاوية ــ حققها وراجعها جماعة من العلماء ، وخرج أحاديثها محمد ناصر الدين الألباني ــ ص٨ المكتب الاسلامي ــ دمشق ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .
١٨ ــ الشوقيات ــ أحمد شوقي ــ ط١ ، دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .
١٩ ــ صحيح الترمذي بشرح الامام ابن العربي المالكي ــ دار الكتاب العربي بيروت .
٢٠ ــ صحيح الجامع الصغير وزيادته ــ محمد ناصر الدين الألباني ــ ط٢ المكتب الاسلامي ــ بيروت ــ دمشق ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
٢١ ــ صحيح مسلم بشرح النووي ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .
٢٢ صفوة التفاسير ــ الصابوني ــ دار القرآن الكريم ــ بيروت .
٢٣ ــ العقائد الاسلامية ــ سيد سابق ــ دار الكتاب العربي ، بيروت .
٢٤ ــ العقيدة الاسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة ــ د. محمد أبوالغيط الفرت ، د. محمد رواس قلعه جي ــ ط٢ ــ دار البحوث العلمية ــ الكويت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .
٢٥ ــ عقيدة المسلم ــ محمد الغزالي ــ دار الكتب الحديثة ــ القاهرة .
٢٦ ــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ــ العسقلاني ــ دار المعرفة ــ بيروت .
٢٧ ــ الفتح الرباني ــ أحمد عبدالرحمن البنا ــ ط٢ دار احياء التراث العربي ــ بيروت .
٢٨ ــ فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء ــ محمد الغزالي ط١ ــ دار القلم ــ دمشق ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .
٢٩ ــ في ظلال القرآن ــ سيد قطب ــ ط٨ دار الشروق بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٧م .
٣٠ ــ كتاب التوابين ــ ابن قدامة المقدسي ــ ط٢ حقق نصوصه وعلق عليه عبدالقادر أرناؤوط دار الهجرة ــ بيروت ــ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .
٣١ ــ مجموع فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية ــ جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن القاسم وابنه محمد ــ مؤسسة قرطبة ــ مصر .
٣٢ ــ مجموعة الرسائل والمسائل ــ ابن تيمية ــ ط١ دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٤٠٣ ــ ١٩٨٣م .
٣٣ ــ مختار الصحاح ــ الرازي ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت .
٣٤ ــ مختصر صحيح مسلم ــ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ط٥ المكتب الاسلامي ــ بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .
٣٥ ــ مختصر العقيدة الاسلامية ــ طارق السويدان ــ مراجعة د. عمر الأشقر ــ ط٢ دار الدعوة ــ الكويت ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .
٣٦ ــ المسند ــ الامام أحمد بن حنبل ــ ط٥ المكتب الاسلامي بيروت ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .
٣٧ ــ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ــ أي ونسنك وآخرون ــ مكتبة بريل في مدينة ليدن .
٣٨ ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ــ محمد فؤاد عبدالباقي ــ دار احياء التراث العربي ــ بيروت .
٣٩ ــ المعجم الوسيط ــ إخراج د. ابراهيم أنيس وآخرون ــ ط٢ دار احياء التراث العربي ــ بيروت .

٤٠ ــ المنهاج للمعتمر والحاج ــ جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين ــ ط١ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م دار الدعوة الكويت .
٤١ ــ منهج التربية الاسلامية ــ محمد قطب ــ ط٢ دار الشروق بيروت .
٤٢ ــ الموسوعة الفقهية ــ وزارة الأوقاف ــ ط٢ ــ الكويت ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م .
٤٣ ــ النبوة والأنبياء ــ محمد علي الصابوني ــ ط٣ مكتبة الغزالي ــ دمشق .
٤٤ ــ نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ــ د. مصطفى سعيد وآخرون ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
٤٥ ــ وحي القلم ــ مصطفى صادق الرافعي ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت .
٤٦ ــ نيل الأوطار ــ الشوكاني ــ دار القلم ــ بيروت .

الفهرست

تقديم الكتاب
للدكتور صديق عبدالعظيم أبوالحسن ٩
المقدمة ١٥
في رحاب القصص النبوي ١٩
القصة الأولى : «من خاف نجا» ٢٣
القصة الثانية : «الجرة» ٢٩
القصة الثالثة : «أصحاب الغار» ٣٣
القصة الرابعة : «قوة الأمل في الله طريق التوبة» ٤١
القصة الخامسة : «تمحيص الإيمان بالابتلاء» ٤٧
القصة السادسة : «قوة الثقة في الله» ٥٥
القصة السابعة : «عاطفة الأمومة تهدي إلى الحق» ٦٩
القصة الثامنة : «الجزاء من جنس العمل» ٧٣
القصة التاسعة : «كفى بالله وكيلا» ٧٧
القصة العاشرة : «إنما الأعمال بالنيات» ٨١
القصة الحادية عشرة : «الغلام المؤمن» ٨٥
القصة الثانية عشرة : «أغلى بطاقة» ٩٧
القصة الثالثة عشرة : «رحلة إلى السموات» ١٠١
من ثمرات القصص النبوي ١١٥
المراجع ١١٩

من منشورات دار التراث

أبجـد هـــوز	: تأليف سعيد أحمد الأصبحي
الاجتهاد في الشريعة الإسلامية	: تأليف أ. د. محمد فوزي فيض الله
أدب المجـالس	: تأليف محمد بن صفون العلي
أصول الإمـلاء	: تأليف الدكتور عبد اللطيف الخطيب
البدعة والمصالح المرسلة	: تأليف د. توفيق الواعي.
أصول التخريج ودراسة الأسانيد	: تأليف أ. د. محمود أحمد الطحان
التعريف بالفقه الإسلامي	: تأليف أ. د. محمد فوزي فيض الله
تفسير الأحلام المسمى العبير في التعبير	: لعبد الغني النابلسي شرح وتحقيق وتعليق خالد سيد علي مراجعة وتقديم د. عبد الستار أبو غزة
التوحيـد	: تأليف محمد بن عبد الوهاب تحقيق وتعليق: محمد منير الدمشقي
تيسير مصطلح الحديث	: تأليف أ. د. محمود أحمد الطحان
جنود الرحمـن	: تأليف سعيد أحمد الأصبحي
الطب المجرب، وصفات طبية شعبية غذائية مجربة	: تأليف خالد سيد علي
رسائل النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء والقبائل	: تأليف خالد سيد علي
الخصال الأربعون الموجبة لدخول الجنة	: تأليف خالد سيد علي
خصـال الفطـرة	: تأليف خالد سيد علي
الخطيب البغدادي بين المحدثين والفقهاء	: تأليف أ. د محمود أحمد الطحان
الخطيب البغدادي وأثره في علوم الحديث	: تأليف أ. د. محمود أحمد الطحان
قبسات تربوية من السيرة النبوية	: تأليف د. حسن أبو غدة
الدعاء المستجاب	: جمعه أحمد عبد الجواد
سلوك المسلم	: تأليف د. توفيق الواعي

عناية المحدثين بمتن الحديث
كعنايتهم بإسناده : تأليف أ. د. محمود أحمد الطحان
الكبائر : للحافظ الذهبي
قصر صلاة المسافر : تأليف عبد الجبار أحمد الزيدي
فتاوى الصائم : تأليف عبد العال محمد علي
محمد رسول الله رسالة وشخصية : تأليف عبدالله نجيب سالم
مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين
أدعياء التجديد المعاصرين : تأليف أ. د. محمود الطحان
مقتطفات ومسابقات إسلامية : تأليف سعيد أحمد الأصبحي
من للسنة النبوية اليوم : تأليف أ. د. محمود الطحان
نزهة المؤمن : تأليف خالد سيد علي
نظرية الضمان في الفقه الإسلامي العام : تأليف أ. د. محمد فوزي فيض الله
سلسلة كتاب الطفل المسلم : تأليف محمد عدنان غنام
وصايا ومواعظ العلماء للأمراء : خالد سيد علي
خصال الفطرة : خالد سيد علي
الإسراء والمعراج : موسىٰ الأسود
الأحاديث الثلاثون
التي عليها مدار الإسلام وقواعد الدين موسىٰ الأسود
الإنسان بين السحر والعين والجان : زهير الحموي
التبيان في تجويد القرآن : عبد اللطيف نجيب خياطة

كتب توزعها الدار:

أحكام السجن ومعاملة السجناء في الإسلام : د. حسن أبو غدة
رسائل إلى المسلم المعاصر : د. حسن أبو غدة
سيدات نساء العالمين : موسى محمد الأسود
سري وللنساء فقط : أحمد القطان

هَـذا الكِتابُ

هذا الكتاب جدول رقراق ينهل من عالم السنة، طالما اشتاقت لمثله النفوس السوية التي عشقت السنة النبوية والتربية الإسلامية الرائدة.

هذه الروائع والقصص البدائع من محراب الكلم النبوي الذي بلغ غاية الكمال الإنساني وروعة الجمال الأدبي، ينير الوجدان ويخلب الألباب.

إنه دستور تربوي عام.

وصرح علمي هام.

للبيت المسلم الذي يطمح أن يزداد علماً وحلماً وأدباً وخلقاً.

إنه من اقتباس الأسوة والقدوة الذي قال فيه رب العزة:
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.